بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة

فِطرةُ السِّرِ المُنصَان ونُزهةُ القلبِ والعَيان

تأليف

العلاَّمة الجليل الشيخ معلَّى ربيع

(قدَّس اللَّه سرَّه)

أنشأها سنة (1318) هجرية

وقد سأله بها الشيخ محمد عبد الرحمن مرهج

(عفا اللَّه عنهما)

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه واهِب العقول غايَة رَجاها، ومُرشِدها إلى حَقيقة مَعرِفَةِ الإقرارِ بِمَعناها، ومُبلِغها أصول أسبابِ هِدايتهِ في ظهورهِ وبطونهِ نحلَةً مِن إنعامهِ وتولاها، وأشهدها خَلق السماوات والأرض ومُكاشفها عن أصلِ أس نَشأة مُبتَداها، وأفاضَ عليها مِن لوائحِ أنوارهِ واجتَباها، وفطَرَ إيجادها عَن صِبغَةِ فيضِ ضيائهِ واصطفاها، واختَصَّ بِها أهلَ الخاصة مِن سُكَّانِ أرضِه وسَماها، وجَعَلَها مَحَل التَصديق لمَعرِفتهِ ودَليل التوفيق لِمرضاتهِ وأعطاها، وتصديق ذَلِكَ ما ذَكَرَهُ في كِتابهِ تَصريحاً مَكشوفاً ومَدَحَها في

خِطابهِ ووعدها بتَبليغِ مُناها، لقولهِ سبحانه وتعالى: كِتابٌ أنزَلناهُ إليكَ مَبارَكٌ ليدَّبّروا آياتهِ وليتذكر أولوا الألباب (ص29).

وقوله سبحانه وتعالى : رَحمَةً مِنَّا وذِكرى لأولي الألباب (ص 43).

وقولهِ: هَل في ذَلِكَ قَسمٌ لذي حِجرٍ (الفجر5).

إذ أن الحجر واللُّب هما العَقل.

فأحمدهُ حَمدَ مَن نَزَّهَهُ عَن الإحاطَة والإحصار، وأفرَدَهُ بوحدانيتهِ عَن التَكييفِ بالخواطِرِ والأسرار، لأنَّهُ تَعالى جَعَلَ الحَمدَ ثواباً، وجَعَلَهُ مُكافأةً لأنعامهِ على عَبيدهِ، وهو الموحد بغيبه بذاته الدَّالَةُ عليه أسماؤهُ وصِفاتهُ، إذ أسماؤهُ وصِفاتهُ غيرهُ، فتعاظَمَت وتعالَت ذاتُ مولانا العليَّة عَن الصِفات الحسيَّة، والتَخاطيط الوَهميَّة، فصلواتهِ السَّابِغَة المُقيمَة التَامَّة العَميمَة، على حِجابهِ الفاضِل الحَميد صاحب الحِجَّة الواجِبَة والكلمة الباقيَة، مَقامهُ الأسنى، الذي فَطَرَهُ مَعناه مِن نورِ ذاتهِ وبجسَهُ مِن بَحرِ وجودهِ، وجَعَلَهُ الغايَة التي يَفوزُ بِها الطَّالِب، الواحِد الأزَلي، والحِجاب السَرمَدي، عيبَةُ عِلمهِ، ومعدن سر آياته العظمى ونورهِ الأسنى.

وصلاةُ اسمهِ الأكرَم على بابهِ الأفخم، سين السَلام، ودار المَقام الروحُ الأمين، والماءُ المُعين، الذي بِمَعرِفَتهِ يَصحُّ اليَقين،

الحضرة القُدسيَّة، ومحل إقامة الأجرام السنية والأشباح العلوية [1]

والكواكب النورانية ( ) وعَلى جِواره الكُنَّس، المُشرِقَة المُنيرَة بالفلكِ الأطلَس، والأفلاك الأثيرَة: زُحَل مُشتَري مَريخ زُهرَة عُطارِد الذين قالَ اللَّه تعالى فيهُم: إنَّا زَيَنَّا السَماء الدُنيا بزينَةٍ الكواكِب (الصافات6).

وهُم أيتامُ البابِ الأجَلّ الأكرَم، أوَّلهُم: المقداد فعنهُ كانَ قدَدُ العوالِم العلويَّة، وأبو ذرٍ الذي أذراهُم المَعرِفَة، وعبد اللَّه بن رواحَة مروِّح قلوبهُم بِمَعرِفَةِ باريهِم، وعُثمان بن مَظعون الذي أظعَنَ عَن قلوبِهِم الشكوك، وقَنبَر الذي أقناهُم توحيد اللَّه مولاهُم، وفيهِم قالَ اللَّه سبحانه وتعالى لإبراهيم: فخُذ أربَعَةً مِنَ الطيرِ فصرهن إليك ثُمَّ اجعَل على كُلِّ جَبَلٍ مِنهن جزءاً ثُمَّ ادعهن يأتينك سَعياً (البقرة260).

فالأطيار الأربَعة: الأيتام الأربَعة، والجِبال: المَراتب الخَمس، وكُلُّ يَتيمٍ مِنَ الأيتام يَتَوَلَّى دَرَجَةً مِن عالَمِ الخَميس، فعلى جَميعهم الصَلاة والسَّلام والتَسليم مِن مولاهم العَلي العَظيم، وعَلى كَافَة العالَم الأصغَر، ومَن لَحِقَ بِهِم مِن خواص عالَم البَشَر، صلاة دائِمَة أبَديَّة، لا تَبلى ولا تَفنى موصولةٌ بالعِنايَة الربانية، وأسألهُ

تَعالى بأشرَفِ سؤالٍ سألَ بهِ السَّائِلون بأن يوصلنا إلى ما نَحنُ لَهُ طالِبون، وإلى الوصولِ إليه راغِبون بفضلهِ وجودهِ آمين.

أمَّا بَعد:

فإنِّي كُنتُ في بَعضِ الأوقاتِ والأحيان أترَقَّبُ أخبار أولي العلمِ والإيمان، وإلاَّ في أبرَكِ وَقتٍ طالِعهُ مَقرون بالسعود، وقَد وَفَدَت إلى هَذا الداعي الكَئيب سطورٌ مُسمَطَة ومُكَلَّلة بالمَهابَةِ والوَقار، فأطرَقتُ رأسي لَها إجلالاً وتَعظيماً، وفَكَكتُ عَنها ختمها الكَريم ففاحَت مِنها روائِحُ المِسك أرَقَّ مِنَ النَسيم، فنَظَرتُ في طَيِّها وَجَدتُها لامِعَةً عَن يد القطب الفاضِل الماهِر الطَاهِر إمام هَذا العَصر والأوان، وجرثومَة العلم بِهَذا الوَقت والزَمان، سيدي الشيخ محمد عَبد الرَحمَن، سليلَة النَسَب الطَاهِر، والفرع الزَكي الزاهِر، الذي سَبَقَت نوائلهُ، وعَمَّت فَضائِلهُ، المولى الفخيم والسيد العَظيم نتيجة الشيخ إبراهيم مرهج، ذو البَراعَة والفَصاحَة، عادَت إلى ما مِنهُ بَدَت وظَهَرَت.

بتَصديقِ قول العالِم: إنَّما هيَ أموالُكُم رُدَّت إليكُم.

إذ الأموال هيَ العلوم الحَقيقيَّة الرَبَّانيَّة، وقَد زَهَت واستَنارَت بمصابيحِ الفقه والدين بالسيِّد الفخيم، والبر الكَريم، السيد محمد عَبد الرَحمَن إبراهيم (جَعَلَنا اللَّه على ما سَلَكَ فيه سالكين

وبعِلمهِ عاملين) وفي طَيِّ تِلكَ الطروس جُملَةُ مَسائِل يَسألُ فيها هَذا العَبد الفَهيه، الذي تَمقَّلَهُ بعينِ طَبعهِ أنَّهُ نبيه، وبهِ يأمرُ أمراً قاطِعاً وحَتماً مانِعاً، بإيضاحِ ما رَسمَ بهِ وتَكَلَّم، فلَمَّا لَم أجَد لي سَبيلاً لبَسطِ العذر والمعذرَة بدون شرح ما سَطَّر، ولَم يَسعني التَخَلُّف عَن إجابَةِ سؤالهِ، وإيضاحِ مَكنونِ مقالهِ، لسموِّ ذكرهِ وجَلالَ قَدرهِ، وإن لَمْ أكُن كفواً لخطابهِ ولا أهلاً لِرَدِّ جوابهِ، لَكِن طَمَعاً بالصَفحِ عَن اللحنِ والخَطَأ والزَلَل لأنِّي على خَطَرٍ وخوفٍ عَظيم مِنَ البَحثِ عَمَّا سَأل، والإجابَة لأمرهِ أوَّلاً لقولِ العالِم: إنَّ طاعَةَ المَرءِ لمَن هو فوقَهُ سَبَباً لسعادته وخروجهِ مِن مِحنتهِ، وعِصيان مَن هوَ فوقَهُ سَبَبٌ لشقوتهِ ورَدَّهُ في خَطيئتهِ.

ولَستُ أقول: إنِّي أبلغُ حَدَّ الغايَة في تَفسيرِ تِلكَ المَسائِل لأنَّ العِلمَ بَحرٌ ولا سَبيلَ لإدراكهِ، لأنه قَد رَوى ابن عَبَّاس: أنَّهُ خَرَجَ مع أمير المؤمنين في بَعضِ الليالي إلى ظاهِر الكوفَة، والكَلامُ طويل نَختَصِرُ مِنهُ موضِع الحَاجَة وهوَ قوله: واللَّه يا ابن عَبَّاس لو شِئتُ لقرأت مِن تَفسيرِ الفاتِحَة حمولَةَ سَبعين بَعيراً.

قالَ مولانا الصّادِق (منه الرحمة) إنَّ كَلامنا يُفَسَّرُ

على وَجهين، وعَلى سَبعَة.

وقيلَ: على سَبعين.

وقيل: على سبعمائَة.

وقيل: إلى ما لا نِهايَة لَهُ.

وقَد صَدَرَت الرِوايَة عَن مولانا جَعفَر الصّادِق (مِنهُ السَّلام) أنَّهُ خَرَجَ في بَعضِ الأيَّام على أصحابهِ وعليهِ جبَّةٍ هرويَّة وهوَ يَقول: أمَّا السَفينَة فكذا، وأمَّا الجِدار فَكَذا، وأمَّا اليَتيمان فكَذا، إذ صَفَرَ طائِرٌ، فقالَ مولانا لِمَن حَضَر: أتَدرونَ ما يَقولُ هَذا الطائِر؟.

فقالوا: لا.

فقالَ: إنَّهُ يُقسِمُ إنَّ عِلم السيِّد موسى في عِلمِ العالِمِ الذي خَرَقَ السَفينَة وأقامَ الجِدار كمثل ما أخذَ الطَائِر مِن هَذا البَحر بِمنقارِهِ.

والعالِم في الحَقيقَة هوَ المَعنى، والاسم الذاتي هوَ موسى، لأنَّ موسى لا يفتَقِرُ إلاَّ لمَعناه، ومَعناه هوَ مولانا يوشَع وهوَ العالِم.

فإذا كانَ هَذا علم الاسم مِن مَعناه، وأنا أشهَدُ أنَّني لَمْ أدرِك مِن عِلمِ أسيادنا وشيوخنا أهل التوحيد إلا على هَذا المثل بغير أن أقيس نَفسي (وأعوذُ باللَّه مِن أن أشبِّه نَفسي بالحِجاب ولَكِن تَصغيراً لنَفسي

وعلمي لدى أهل التَوحيد).

وإنني سآتي حَسبِ ما وَصَلَ إليهِ فَهمي مِن تَفسيرِ ما عَنا عنه

السيِّد الكَريم بأسئلته، وآتي بشواهِد تَدل على مَعنى ما أشرحهُ لأنَّ مولانا جَعفَر الصادق (منه السلام) نَهى عَن التَعرض لكلامِ أهلِ البيت بغيرِ رِوايَةٍ لقولهِ: إنَّا لَنُحَدِثَكُم بالحَديث فتُحَدِّثون بهِ عَنَّا والذي يَزيدُ كَلِمَة أو يُنقِصها يَستوجِبُ المُحدِّث بهِ النار.

وفي هَذا المَعنى قالَ الشيخ عَلي بن مَنصور (قدسه اللَّه) في شعرهِ المَعروف بالمثل النوري:

احذر من التعرض للقرآن

جهلاً بلا علم ولا تبيان

فذلك التبوء في النيران

فالذكر يتعالى عن الأذهان

عليك فيما ورد الرويا

وأنا أقول وباللَّه أعتَصِم إنَّ جملة المَسائِل التي سَألَ عَنها هَذا الحبر النَفيس مَشروحٌ تَفسيرهُم في الرِسالَة الهالتيَّة وسوفَ يأتي عَليهِ الكَلام في موضعهِ إن شاءَ اللَّه تَعالى، وسوفَ أذكر كُلَّ مَسألَةٍ بِمُفرَدِها وشرحها يَتلوها واللّه المُعين والموَفِّق.

صورة المسائل:

المسألة الأولى:

عَن كَلامِ مولانا جَعفَر الصّادِق (منه السلام) للمُفَضَّل (عليه

السلامِ) وهوَ: قالَ المُفَضَّل سألتُ الصّادِقِ (منه الرحمة) فقلتُ لهُ: هَل مَع دُنيانا هَذهِ دُنيا؟

فقال: خَلفَ قبتكم هَذهِ اثنا عشر ألف قبَّة، لو أخِذَت قبتكم هَذهِ ووضِعَت في وَسَطِ واحِدَةٍ مِنها لَم تَبن، ولكُلِّ قِبَّة اثني عَشَر ألفِ باب عرض المصراع مسيرة اثنا عَشَر ألفِ سَنَةٍ، فيها صفوفُ المَلائِكَة قِياماً على أقدامِهِم يُسَبِّحون اللَّه ويُقَدِّسونهُ، ويَلعَنون فُلاناً وفُلاناً، أي زازمد وسكد.

قلتُ: مِن ذريَّةِ آدَم هُم؟

قالَ: لا يعرفون آدَم ولا ذريتهُ، ولا إبليس.

قلتُ: أيعرفونكُم؟

قالَ نَحنُ عِندَهُم أعرَفُ بِنا منكم.

المسألة الثانية:

عَن قولِ رَسولِ اللَّه (صَلَّى اللَّه عَليهِ وآله وسَلَّم) إنَّ للَّه ثَمانيَة عَشَر ألف عالم، والدُنيا فيها عالم واحِد، وفيها ألف أمَّةٍ سوى الإنسِ والجن، ستمائَة في البَحر، وأربَعمائَة في البَر؟

المسألة الثالثة:

عَن كَلام سيدنا محمد الباقِر (منه السلام) إلى جابِر بن يَزيد الجَعفي قالَ لَهُ: يا جابِر إنَّ وَراءَ شمسِكُم هَذهِ أربعون شَمساً، ما

بينَ الشَمسِ إلى الشَمسِ مَسيرةَ أربَعين عاماً فيها خَلقٌ كَثير، لا يَعلَمونَ أنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم أم لَمْ يَخلقهُ، وإنَّ مِن وَراءِ قَمَركُم هَذا أربَعينَ قَمَراً ما بينَ القَمرِ إلى القَمَر مَسيرَةُ أربَعين عاماً مِنَ القرصِ إلى القرصِ، فيها خَلقٌ كَثير لا يَعلَمونَ أنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم أم لَمْ يخلقهُ، قَد ألهموا كَما ألهِمَت النَحلَة لعنة فُلان وفُلان (أي ضَلال ووبال) في كُلِّ الأوقات وقَد وَكَّلَ اللَّه بِهِم مَلائِكَةً حَتَّى إذا لَمْ يَلعَنوهُم عَذَبوهُم بأنواع العذاب.

المسألة الرابعة:

عَن الحروف المُعجَميَّة، مَن سَمَّاهُم بِهَذهِ الأسماء ورَكَبَهُم؟ وما مَعنى تَسميتهم(ا ب ت ث) إلى آخرهم؟ وما دَلالتهم؟ وما كانَت أسماؤهم في سائرِ القِباب؟

المسألة الخامسة:

عَن تَشخيصِ شهر رَمَضان دونَ غيرهِ، وما مَعنى قول النَبي (ص) أيَّامهُ ليست كالأيّام ولياليهِ
ليسَت كالليالي.

المسألة السادسة:

عَن سَبَبِ وقوف آدمنا المَهبوط، وهَل العِلَّةُ فيهِ؟ وهَل هوَ مِنَ القِبابِ الماضيَة أم لا؟

المسألة السابعة:

عَن ابـن ملجـم، وحَنظَلَـة، مـا رتبتيهمـا وفَـديَهما ومثلهمـا نـوراً وبَشَراً؟ والهندي والسندي من أي رُتبَة؟

المسألة الثامنة:

عَن سَبَبِ سِعَةِ السين وعَدَمِ غَيبَتـهِ دونَ النيرين فـي عيـونِ النـاظرين، وعَـن سـياقَةِ الإزالات المثليَّـة، وتمثيلهـم للوجـود، وتَفصيلهم بشَرحٍ جَلي.

المسألة التاسعة:

عَن مَعنى الحَمد الذي حَصَلَ في كتُبِ أهل التوحيد لأهلِ السند والهند والحبش والنوبَة وغيرهم مِنَ الفِرَق، فكيفَ مَعنى حمدهم؟ وما الذي أوجَبَ لَهُم الحَمد؟ وما هوَ مَعبودهم؟

جواب المسائل

المسألة الأولى:

عَن كَلامِ مولانـا جَعفَر الصّـادِق (منـه السـلام) للمُفَضَّل (عليـه السلام) قالَ المُفَضَّل سألتُ الصّادِق (منه الرحمة) فقلتُ لـهُ: هَل مَع دُنيانا هَذهِ دُنيا؟

فقال: خَلفَ قبتكم هَذهِ اثنا عشر ألف قبَّة، لو أخِذَت قبتكم هَذهِ ووضِعَت في وَسَطِ واحِدَةٍ مِنها لَم تَبن، ولكُلِّ قِبَّة اثني عَشَر ألفِ

باب عرض المصراع مسيرة اثنا عَشَر ألفِ سَنَةٍ، فيها صفوفُ المَلائِكَة قِياماً على أقدامِهِم يُسَبِّحون اللّه ويُقَدِّسونهُ، ويَلعَنون فُلاناً وفُلاناً (أي زازمد وسكد).

قلتُ: مِن ذريَّةِ آدَم هُم؟

قالَ: لا يعرفون آدَم ولا ذريتهُ، ولا إبليس.

قلتُ: أيعرفونكُم؟

قالَ نَحنُ عِندَهُم أعرَفُ بِنا منكم.

الجواب وباللّه التوفيق:

فهَذهِ المَسألَة لَها شَرحٌ جَليٌ في الرِسالَةِ الهالتيَّة على أربعة وجوه، لأنَّنا قَد قَدَمنا القول عن كَلامَ أهلِ البيت ما لا نِهايَة لِتَفسيرهِ، وسوفَ نَختَصِرُ مِنَ الأربَعَةِ أوجُه وَجهين كيلا يملَّ القارئ، ويَكون قَريباً للفهم.

الوَجه الأوَّل: اعلم أيُّها السَّائِل (وَفَّقَكَ اللّه لطاعتهِ) أنَّ الصّادِق (منه الرحمة) هوَ المَعنى بذاتهِ وإن كانَ حالُ الظهور أورى أنَّهُ مَثَلي.

فبالحَقيقَة إنَّ ظهورات المَعنى كُلُّها ذاتيَّة أنزَعيَّة ويَعلَمُ ذَلِكَ كافَّةُ أهلِ التوحيد.

والمُفَضَّل هوَ الاسمُ المُحَمَّدي، وهوَ ظهور مِزاج، أي اجتِماع

حدث الميم وقدم الباب في جَسَدٍ واحِد وصورَة واحِدَة.

والباب كانَ في عَصرِ المولى الصّادِق (منه السلام) ظاهِراً بثلاثَةِ أشخاص: باب وصَفقَة ومُؤهل كَما جَرى في القبَّة المُحَمَّديَّة.

فالباب الحالي الذي يَكون الاسم مُمازِجاً لَهُ، والصَفقَة والمؤهِل تراكي حدث للباب وسوفَ نَختَصِر عَن هَذا البَحث لأنَّهُ مَفهوم.

وأمَّا قولهُ: هَل مَع دُنيانا هَذهِ دُنيا؟

أي هَل في هَذا العَصرِ والزَمان دُنيا مَع دُنيانا هَذهِ؟

فقالَ المولى جواباً للسَّائِل: إنَّ خَلفَ قبتكم، (أي القبَّة بِمَعنى الظهور) وهيَ كَما قلنا: القبَّة الهابليَّة، والقبَّة الشيثيَّة إلى النِهايَة، أي كُل ظهور قبَّة.

وخَلف قبتكم هذه (قيل دُنياكُم هَذهِ اثنى عَشر ألفِ قَبَّةٍ) فظاهِرُ هَذا الخِطابُ تعَظيم في قدرتهِ تعالى.

وباطِن الاثنى عَشَر ألف اثني عشر فقَط كَما في قولنا: إنَّ شيث الذي هوَ المَعنى جَمَعَ كُتب أبيه آدَم باثنى عَشَر ألف جلد مِن جلودِ البَقَر ودَبَغَها حَتَّى ابيَضَّت، ورَقَمَ بِها الصحُف الشيثيَّة.

فالاثنى عشر ألف: هيَ اثنا عَشَر فقَط.

والألف: هيَ ألف، وهُم العودات الاثنا عَشَريَّة، ومَرقومٌ بِها الأحرُف المُعجَميَّة.

والجلود: هيَ تَجديدُ ظهورهِ، وهوَ أبَداً جَديد.

ودَبَغَها حَتَّى ابيَضَّت: أي أهل فيها حَتَّى تَجَلَّى بالصّورَة الضيائيَّة بصِفَةِ نَهرِ اللَّبَن.

وأمَّا قولنا أيضاً: إنَّ المَعنى اختَرَعَ اسمهُ الأعظَم وغابَ عَنهُ ألفَ سَنَةٍ: وتَفسيرها في الحَقيقَة إنَّ المَعنى اختَرَعَ اسمهُ مُنبَجِساً مِن بَحرِ الوجود مِنَ الفيضِ الثاقِب.

ومَعنى غابَ أي ظَهَر، وغيبتهُ فهيَ توَهُّم أهلِ الضَلال عن معرفته.

ومائَة ألف: لأنَّ كُل نَظرَة مِنَ النُقَط الأربَع تَجمَع الحروف المُعجَميَّة بنقطها وأصولها.

فالاسم لَهُ البَدا مِنَ النقطَة الفيضيَّة خَمسون.

والألف: ألف.

والألفُ: الجوهَر الفَرد، وهوَ قَلَمُ المَدار، ولَهُ بإزائها في النقطَة البيكاريَّة خَمسون ألفاً، لأنَّ كُل يوم بالزيادَة نَقيضَهُ يوم بالنُقصان.

وكذَلِكَ قولنا: إنَّ الاسم غابَ عَن الباب خَمسينَ ألفِ سَنَةٍ والمُرادُ بِها خَمسون فقَط لأنَّ الباب لَهُ نَظرَة واحِدَة في مَركَزِ الضياء وهي تجمع عَدَد الحروف ومَعنى هَذا الكَلام مَشروح في كَتاب

الأكوار والأدوار النورانيَّة غنينا عن شرحه هاهنا لأنَّ مَعناها دالٌ على مَعنى السؤال.

وأما قولنا: اثنى عَشَر ألفِ قبَّة (أي اثنا عَشَر ظهوراً مُشاهَداً مَرئيَّاً يُرى بالشهورِ الهِلاليَّة) وهَذهِ الشهور تَجمَعَهُم السنَة، لأنَّ القاف يَهلُّ فيها اثنى عَشَرَ مَرَّة.

وقولهِ: لِكُلِّ قبَّةٍ اثنى عَشَر ألفَ باب.

أي كُل هَلَّة يَقطَعُ فيها القاف اثنى عَشَر بُرجاً.

وأمَّا قولهُ: عَرضُ المَصراع اثنى عَشَر ألفِ سَنَة.

أي الذي يَقطَعَهُ القاف في شَهرٍ واحِد تَبقى فيهِ الشين اثنى عَشَر شَهراً.

والسَنَة مَعناها الرجوع، أي كَما يَعودُ القاف راجِعاً في الشَهر تَعودُ الشين راجِعَة في السَنَة.

وقولهِ: فيها صفوفُ المَلائِكَة قيام.

أي عَلى اختِلافِ مَقاماتِهِم ودُرجاتهِم في عالَمِ المَلكوت لأنَّ كُلَّ شَخصٍ لَهُ مَنزِلَةً أعظَم مِمَّن هوَ دونهِ، ولا يَتساوى اثنان في عالَمِ المَلكوت في دَرَجَةٍ واحِدَة لقولهِ سبحانه وتعالى على لِسانِ الباب: وما مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقامٌ مَعلومٌ (الصافات164).

أي كُلُّ شَخصٍ لَهُ مِنَ اللَّه مَنزِلَةٌ لا يَرقاها مَن هوَ دونهِ ولو

بِدَرَجَةٍ يَسيرَة.

وقوله: قيام على أقدامِهم.

أي يتسابقون بالجِدِّ والطَواف، وهُم يُسَبِّحونَ اللَّه ويُقَدِّسونَهُ.

فالسُبحان: الباب، بنَظَرَةِ كون الضياء.

والتَقديس: الاسم.

واللَّه: المَعنى.

والكَلامُ مَنظوم على أنَّهُم يُسَبِّحون ويُقَدِّسون اللَّه.

أي يَدينون للَّه مِن جِهَةِ الفيض والضِياء، واللَّه التَمام.

وقوله: يَلعَنون فُلاناً وفُلاناً.

أي يَسألون المَعنى أن يَقطَع موارد رَحمَتهِ عَن الأوَّلِ والثاني وأشياعَهُما لأنَّ الرَحمَة هيَ المَعرِفَة، وإنَّ المَعرِفَة إذا حَلَّت مَع مُنافقٍ فتكون حِجَّة للّه عَليه لأنَّهُ لا يَعمَلُ بها.

وقولُ المُفَضَّل للمولى: مِن ذُريَّةِ آدَم هُم؟

فأجابَه: أنَّهُم لا يَعرِفون آدَم.

فإنَّ المُفَضَّل غَنيٌّ عَن هَذا البَحث ولَكِنَّهُ بِمَعنى

إيَّاكِ أعني واسمَعي يا جارَة، وإنَّ آدَم هذا هوَ آدَم الطين.

وقوله: لا يَعرِفونَهُ: أي لم يركَّبُ فيهِم مِنَ عنصُر البَشَريَّة، وإنَّ أوروا الظهور فيها.

وقوله: ولا إبليس.

أي لَم يحل فيهم شيئاً مِن عُنصرهِ.

وقولِه: قلت يَعرِفونَكُم.

مَعناه يُشاهِدونَكُم كَما نُشاهِدُكُم في هَذهِ الصّورَة الظليَّة.

قالَ: نَحنُ عِندَهُم أعرَفُ بِنا مِنكُم.

وهَذا كَلامٌ لا يليق بالمُفَضَّل ولَكِنَّهُ تَوَهيمٌ للجاهِل.

ومَعنى كَلام الصّادِق أنَّهُم يُشاهِدوننا بالصّورَة الضيائيَّة التي لا نُقصان فيها، وإنَّ عالَم البَشَر يَرون فيها الزِيادَة والنُقصان، فذَلِكَ مُضافٌ وراجِعٌ إليهِم لا إليه، وواقِعٌ فيهِم لا فيه تعالى اللَّه العَلي العَظيم.

الوجه الثانِي: عن قول المُفَضَّل: هَل مَع دُنيانا هَذهِ دُنيا؟

وهوَ أجَلَّ من أن يحصرَ مَعناه.

ومَعنى كلمة هَل: ظَهَرَ.

وكلمَة مَع: مائَة وعَشرَة.

أي هَذا الظهور الذي رأيناه في الصّورَة الظليَّة لَهُ مَثلٌ مَشهود بالصّورَة النورانيَّة.

وكَذَلِكَ دنيا: وهيَ اسمُ الصّورَة النورانيَّة.

ودنيا تُجمَع في العَدَد خَمسَة وستِّين وهيَ اسمُ هِلال بِدون ألف،

ولِهَذا قيل: إنَّ الهِلال في الزيادَة والنُقصان كأمير المؤمنين، وهوَ لا يَزيد ولا يَنقُص، وإنَّما تَراهُ على مِقدارَك، والشَكُّ فيكَ لا فيه.

ومثل قول المُفَضَّل ليونِس بن ظبيان: إنَّ أبا الخَطَّاب خَرَجَ إليكُم مِن علمنا بحَرفين: حَرفٌ معوَج وحَرفٌ مُستَقيم إلى قولِهِ: فكوَّنَ لِذَلِكَ الحَرف المعوَج مائَة ألف نَبي وأربَعَة وعشرين ألف نَبي.

فالحَرفان ظهورهُ نور وبَشَر.

وقيل: عجز ومعجز.

ولِنَرجِع إلى قول المولى: خلف قبتكم.

أي خَلفَ هَذهِ الصّورَة العلويَّة ظهورها نورانيَّاً، والصُّورَتان صورَة واحِدَة.

والاثنى عَشَر فهيَ أربَعَة في ثَلاثَة، فالثَلاثَة: الحُلَل، والأربَعَة: الأسابيع، فإذا ضَرَبتَ أربَعَة في ثَلاثَة فيَخرُج عَدَد الأعياد الاثنى عَشَريَّة.

والألف: قَد مَرَّ ذِكرَها أنَّها ألفٌ لا انثِناء له.

وقوله: لو أخَذتَ قبتكم هَذهِ.

أي الصُورَة التي ظَهَرَت لَكُم فلو نَزَهتموها وعَرَفتموها باطِناً لَما وَجدتموها بائِنَة عَن الصُّورَة النورانيَّة، وليسَ بِمَعنى لَم تَبن أي

لَمْ تُر، لكِن المُراد بِمَعنى لَمْ تبَن، أي لَم تَنفَصِل.

وقوله: لِكُلِّ قبَّةٍ اثنى عَشَر ألفِ باب.

أي كُل صورَة يُقال عِندَ وجودِها لا إله إلاَّ اللَّه، وهيَ اثنا عَشَر حَرفاً، واللَّه هِلال.

وقوله: عَرض المَصرَاعِ مسيرة اثنا عشر ألف سنة.

فالعَرض، والعمق، والطول، بِمَعنى واحِد، وتَصديقُ ذَلِك ما قالَهُ وذَكَرَهُ الشيخ حَسَن بن مَكزون (قدس اللَّه روحه) في شعرِهِ:

وعرض ما في عمقه طوله

به المدى نقطته الحقب

أي تِلكَ النقطَة التي هيَ الصورَة التي لا تَنفَذ في سائرِ الأحقاب ولا تَدخُل تَحتَ حَدِّ التَكييف.

والمَصرَاع: ناحيَة مِنَ الباب، لأنَّ باب الضِياء لَهُ مَصرعان.

وقوله: وعرضهُ مَسيرة اثنى عَشَر.

فقِف على التَثنيَة: أي عَجز ومعجز، فهُما المصراعين.

والعَشرَة: فهيَ (هبق) وهيَ أس كُل بَسائِط الأعداد كقولنا في بَسائِط الأعداد إنَّهُ لا يَجمَع العَشرَة إلاَّ الأربَعَة أي أربَع نُقَط، وهيَ الأسابيع الأربَعَة وفيها ثَلاثَة: وهيَ (طَشش) فكانَت سَبعَةً، وهيَ الظهورات السبع، لأنَّ السَبَع ظهورات تجمع حروفها ثَمانيَة

وعشرون، وبهم إشارَة علويَّة تُعَبِّر عَن المَنازِل الهِلاليَّة، وفي السَبعَة اثنان: أي عجز ومعجز فكانوا تِسعَةً، وهُم أحرُف (طَشَش) وفيهم واحِد وهوَ الجوهَر الفَرد فكانوا عَشرَةً أي (هبق).

وقوله: ألف سَنَة.

أي ثَنِّ الألف بالعودَة.

وقوله: فيها صفوف المَلائِكَة.

مَعناها تَمتَدُّ نَظرَة المَلائِكَة واقتِباسهم مِن ألف المَدار، والمَلائِكَة هُم الأيتام الخَمسَة ونَظرتهم في الظل، وعَن نَظرتهم تَمتَدُّ نَظرَة العالَم الخَميس.

وقوله: قيامٌ على أقدامهِم.

أي على ما تَقَدَّمَ وسَبَقَ من نَظَرَتهم.

وقوله: يُسَبِّحونَ اللَّه ويُقَدِّسونهُ.

أي يَشهَدون الحَق بالنَظرات الثَلاث.

ويَلعَنون فُلاناً وفُلاناً (أي يَمنَعون عنصُر الضد أن يَنالَ شيئاً مِن هَذهِ النَظرات).

وقوله: لا يَعرِفون آدَم.

أي لا تَحلُّ بِهِم الزِيادَة والنُقصان كَما تَحِلُّ في الآدَميين.

وقوله: لا يَعرفون إبليس.

أي لا يَعرِفون شيئاً مِنَ التَوَهُمِ والنِسيان.

وقولـه: قلت يَعرِفونَكُم؟

قالَ: نَحنُ عِندَهُم أعرَفُ بِنا مِنكُم.

أي لَم يَلحَقهُم العَجز وهُم عارِفون بالظهورين (نور وبَشَر) ولا يَدخُل عَليهِم تَغيير في الصّورَتين.

وقَد اختَصَرنا هَذهِ المَسألَة خوفاً مِن أن يَطول الشَرح بالمَسائِل، وصَلَّى اللَّه على سَيِّدنا مُحَمَّد وآلهِ وسَلَّم.

المسألة الثانية:

عَن قولِ رَسولِ اللَّه (صَلَّى اللَّه عَليهِ وآلـه وسَلَّم) إنَّ للَّـه ثَمانيَـة عَشَر ألف عالم، والدُنيا فيها عالم واحِد، وفيها ألف أمَّةٍ سوى الإنسِ والجن، ستمائَة في البَحر، وأربَعمائَة في البَر؟

الجواب وباللَّه التوفيق:

فـاعلَم أيُّهـا السيِّدُ الـرَحيم (منَحَـكَ اللَّــه الحَـظَّ العَظيـم) أنَّ هَـذا الخِطاب والرَّمز أصلُ شَرحهِ في الرِسالَة الهالتيَّة وسوفَ أبدي شَطراً مِمَّا هَوَ مَسطورٌ في تِلكَ الرِسالَة وبِحولـهِ ألوذ، وبعصمتهِ أعتَصِم.

قوله: أمَّا ما صَدَرَت بـهِ الرِوايَـة الصَحيحَة بالآثـار المَنقولَـة عَن مُحَمَّد بنِ سِنان نقيب النُقَبـاء في عهد المولى الصَّـادِق (منـه

الرحمـة) وثـاني النُقَبـاء فـي عَهـدِ رَسـولِ اللّـه (ص) يسندهُ عَن نَصر بن عَوف أحَد العوالِمِ العلويَّة يرفـع الإسناد إلـى رَسـولِ اللّـه الـذي هـوَ الاسـم الأعظَـم، والحِجـاب الأكـرَم، والسـؤال تَقَـدَّم ولـهُ أربَعـة أوجُـه: ولِنَبـدَأ بتَعبـير وَجهيـن مِـنَ الأربَعَـة أوجُـه، واللّـه الموَفِّق للصواب.

الوجـه الأول: عن قـول رَسـول اللّـه (ص) إنَّ للّـه ثمانيـة عشـر ألف عالم.

فلَفظة للّه هيَ العين.

وثَمانيَة عَشَر ألف عالم.

فظاهِرُ ذَلِك أنَّ هَذهِ العوالِمِ كافّةً أسماءُ الأجناس التي خَلَقَهُم اللّه تَعالى، لأنَّ كُلَّ جِنسٍ يُسَمَّى عالماً وأمَّةً.

قال تَعالى: وما مِن دابَّةٍ فـي الأرضِ ولا طائرٍ يَطير بجناحيـه إلا أمَّمٌ أمثالكم ما فَرَّطنا في الكِتابِ

مِن شيءٍ ثُمَّ إلى رَبِّهِم يحشَرون (الأنعام38).

وكُلُّ هؤلاء العوالِمِ الحَيوانيَّـة مُبهَمَـةٌ مَرفوعٌ عَنـهُم الأمر والنَـهي ولَـم يَدعهُم سُدىً وهُم أصنافٌ مُختَلِفَـة، فمِنهـا مـا أطلَقَ ذبحـهُ وأكـل لَحمـهُ، ومِنهـا مـا حُـرِّمَ لَحمُـهُ وجَميـع آلتـهِ، وحُلِّـل قَتلـهُ، وجَميع هؤلاء الأجناس كانوا بَشَراً قَبلَ آدَمِنـا هَذا وعمّروا الأرض

أدواراً وجَرَت عليهِم الدَعوَة فأنكَروا وصاروا مسوخاً بعَدلِ الحَقِّ عليهِم.

وقوله: الدُنيا فيها عالمٌ واحِد.

أي جَميع ما في الأرضِ مِن عالَمِ البَشَر فَهُم مِن نَشأةٍ واحِدَة، وهَبَطوا هَبطَةً واحِدَة، وهَذا الكَلام يوافِقُ مَعنى ما رواه إسحاق بن عَمَّار عَن أبي عَبد اللَّه الصَّادِق (منه الرحمة) وهوَ قوله قال: سَمِعتُ أبا عَبد اللَّه يَقول هَذا الخَلقُ نِطاقٌ واحِد، وللَّه (عَزَّ وجَل) تِسعَة وخَمسون نِطاقاً رُكعاً سُجَّداً قَد تَلبوا اثنين مِن هَذهِ الأمَّة (أي هُما الأوَّل والثاني) والمُراد بنطاقٍ واحِدٍ . أي . هُم على هيأةٍ واحِدَةٍ، وصورَة واحِدَة، ومِن نَشأةٍ واحِدَة، والكَلامُ عَن نَشأةِ المؤمنين فقَط.

وللَّه تِسعَة وخَمسون نِطاقاً: أي ألسِنَةٌ للنطق.

والمُرادُ بباطنِهِم: واحِد وخَمسون الحروف المُعجَميَّة بنقطها وأصولها وثمان حُجَج، والعارِفُ بِهِم يَتلبُ الأوَّل والثاني.

وقوله: فيها ألفُ أمَّةٍ سوى الإنسِ والجَن.

أي كُلُّ جِنسٍ أمَّةً، فباقي على وَجهِ الأرض مِن أرواحِ ذوات الحَرَكَة أرواح ألف جنس سوى الإنسِ والجن، أي سِوى هَذا

العالم القائِم بالصّورَة الإنسيَّة.

فالإنس: المؤمنون، والجن: ما هوَ خبيثُ السَريرَة والفعل (أي الكافِر).

وقوله: مِنها ستمائَة في البَحر.

أي مسوخ مختلفوا الصُّوَر مِنَ النَشآت المُتَقَدِّمَة.

وقوله: وأربَعمائَة في البَر.

كذَلِك فهَذا كَلامٌ ظاهِر مُصَدَّق.

وفي الباطِن أنَّ اللَّه هوَ المَعنى.

وثمانية عشر ألف عالم.

أي ثَمانيَةَ عَشَر حَرفاً يَتَجَلَّى بِها نوراً وبَشَراً، وهيَ (هبق طَشش).

والألف: هوَ ألفِ ذاتهِ الأزَليَّة كَما قَدَّمنا عَليهِ الشَرح في المَسألَة الأولى.

وقولهِ: الدُنيا فيها عالمٌ واحِدٌ.

أي ظهورهِ بالصّورَة البَشَريَّة وإن أورى التَغيير

فهوَ أحدٌ أبَداً.

وقولهِ: فيها ألف أمَّة.

فالأمَّة هيَ القدرَة لقولهِ تَعالى: إنَّ إبراهيم كانَ أمَّةً قانِتاً للَّه

(النحل120).

والألف: هوَ واحِدٌ، وهوَ صاحِب النِداءِ والدَعوَة، وسُمِّيَ ألِفاً لأنَّـهُ لا زَيغَ فيه.

وقولـهِ: سوى الإنسِ والجنِّ.

فالإنسِ: العالَم الأكبَر، والجن: العالَم الأصغَر.

وقوله: ستمائَة في البَحر.

فالبَحر هوَ البَحر المَسجور العَميم.

والستمائَة: هيَ التَجَليَّات السِتَّة واسمُ كُل واحِد مائَـة، لأنَّ القاف مائَـة.

وقولـه: وأربَعمائَـة في البَر.

فالبرُّ: مِن أسماءِ العَطاء.

والأربَعمائَة: هيَ الأربَعة أسابيع.

والبرُّ: ظهوره بالتَمام.

والأربَعمائَة: أربَع ليالي البيض.

ولِهَذا السر الصَميم وَجهٌ ظاهِرٌ وهو:

البَحر: عِلمُ الظاهِر.

والبرُّ: عِلمُ الباطِن.

والشاهِد قولـه سبحانه وتعالى: أَحَلَّ لَكُم صَيدَ

البَحرِ وطَعامـهُ مِتاعاً لَكُم وللسيَّارَة وحـرّم عليكُم صيـدَ البَر مـا دُمتُم حرماً (المائدة96).

لأنَّ ظاهِر الصَيد في يومِ الحَج حين الحرم حَرامٌ.

وصَيدُ البَحرِ متاعاً لَكُم: أي سِتراً وزِينَـةً لَكُم، وهوَ العِلمُ الظاهِر.

وقولهِ: حُرِّمَ عَليكُم صَيدُ البَرِّ ما دُمتُم حرما.

أي ما دمتم في جولَةِ الضِد، فحرامٌ عَليكُم كَشفُ عِلمَ الباطِن.

والسِتمائَة والأربَعمائَـة: تَمـام الألـف، والألـف: ألـف واحِد، وباقـي سَبعة عَشَرَ ألف عالم، لَمْ يَذكُر السيِّد الرَسول مَحلَّهُم لأنَّ الكَـلامَ مُنسَّقٌ على الباطِن . أي . الثَمانيَةَ عَشَرَ ألف هـيَ الحروف التـي تَقَدَّمَ ذِكرها والحَرف الذي ظَهَرَ بالصّورَة الظليَّة فهوَ العين وهوَ المَعنى بِذاتـهِ، والحَرف هو حالـة لقولـهِ تعالـى: ومِنَ النَّـاسِ مَن يَعبدُ اللَّه على حَرفٍ فإن أصابهُ خيرٌ اطمَأنَّ بهِ (الحج11).

أي الحَرف حالَة واحِدَة، والعِبادَة للَّـه لا تَصحُّ إلاَّ أن تَكون علـى الحَالتين (أي في السَرَّاءِ والضَرَّاءِ).

وقيلَ: الحالتين: هما الظهورين، وقَد اختَصَرنا الكَـلام كيلا يَطول الشَرح وصَلَّى اللَّه على سَـيِّدنا

مُحَمَّد وآلهِ وسَلَّم تَسليماً.

المسألة الثالثة:

عَن كَلام سيدنا محمد الباقِر (منـه السـلام) إلـى جابِر بن يَزيـد الجَعفي قالَ لَهُ: يا جابِر إنَّ وَراءَ شمسِكُم هَذهِ أربعون شَمساً، ما بينَ الشَمسِ إلى الشَمسِ مَسيرةَ أربَعين عاماً فيها خَلقٌ كَثير، لا يَعلَمونَ أنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم أم لَمْ يَخلقهُ، وإنَّ مِن وَراءِ قَمَركُم هَذا أربَعينَ قَمَراً ما بينَ القَمرِ إلى القَمَر مَسيرَةُ أربَعين عاماً مِنَ القَرصِ إلى القَرصِ، فيها خَلقٌ كَثير لا يَعلَمونَ أنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم أم لَمْ يَخلقهُ، قَد أُلهِموا كَما أُلهِمَت النَحلَة لعنة فُلان وفُلان (أي ضَلال ووبال) في كُلِّ الأوقات وقَد وَكَّلَ بِهِم مَلائِكَةً حَتَّى إذا لَمْ يَلعَنوهُم عَذَبوهُم بأنواع العذاب.

الجواب وباللَّه التوفيق:

فإنَّ هَذا الكَلام لَهُ شَرحٌ جَليٌّ، فالوَراء قدَّام كَما في كِتابِ اللَّه وهوَ قولـه: وكان وراءهُم ملكٌ يأخذُ كُلَّ سَفينَةٍ غَصباً (الكهف 79).

فلو كانَ المَلك مِن ورائِهِم لكانوا قَطَعوه ولَكِنَّ الملك أمامهُم.

وقوله أيضاً: مِن ورائِهِم جَهَنَّم (الجاثية10).

فلو كانَت جَهَنَّم ورائهم لَكانوا قَطَعوها ولَكِنَّها قدَّامهُم.

وقولِه سبحانه وتَعالى: واللّه من ورائِهِم مُحيط (البروج20)

والمُراد أنَّهُ أمامهُم.

وقوله: وما كانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللَّه إلاَّ وَحياً أو مِن وَراءِ حِجاب (الشورى 51).

والحِجاب: هو الصّورَة، فلِذَلِكَ قالَ مولانا محمد الباقر (علينا من ذكره السلام) إنَّ وراءِ شمسِكُم هَذهِ أربَعين شَمساً ما بين الشمس إلى الشمس مسيرة أربعين عاماً.

فالشَمسَ تُفَسَّر على وَجهين ولم يَكُن المُراد أنَّ الشَمسَ هيَ الحَجاب.

فالوجه الأوَّل: الشَمس مِن دَرَجة الشموس، والشموس: خَمسةٌ وسَبعون شَخصاً وهُم خامِس دَرَجَة مِن درُج الأبواب الأربعمائَة، فأعلاهُم وأقرَبَهُم إلى اللَّه وَسيلَةً، أبو عُبيدَة نوفَل بن الحارِث (وقيل مُصعَبُ بن عُمير) وهُم مِن دَرَجَةِ المُختَصِّين، ومُصعَبُ بن عُمير رئيس دَرَجة المُختَصِّين، ولِهَذا قيل: إنَّ القَمَر يَقتَبِسُ مِنَ الشَمس، وهَذان الشَخصان: مِنَ العالَم الأكبَر.

وقوله: وراء شَمسِكُم هَذهِ أربَعين شَمساً.

أي إنَّ هَذا الشَخص المَذكور يَستَمِدُّ مِن نورهِ أربَعين شَخصاً مِن رؤساء دَرَجَةِ الشموس، ويَستَمِّدُ نورَهُ مِنَ الأربَع درُج الذي قَبلَ دَرَجَتهِ وهُم يُسَمُّون عمود الشَبَح، ومَعنى الأربَعين: أربَعَة.

وقيل: الأربَعين هُم عَدَد مِيقات موسى الأربَعين ليلَةً وبيانها قوله

تعالى: وواعَدنا موسى ثَلاثين لَيلَةً وأتمَمناها بِعَشرٍ (الأعراف 142).

أي جملة أيَّام الشَهر، والعَشرَة: حروف (هبق) فتَمَّ ميقاتُ رَبِّهِ أربَعين ليلَةً، وبهَذهِ الصورَة النورانيَّة يَتَجَلَّى الباري للعوالِم القُدسيَّة وكُلٌّ يَقتَبِسُ مِن هَذا الميقات على قَدَرِ احتِمالهِ، لأنَّ الذات تُعطي كُلَّ مُتَجَلٍّ مِنَ الوجودِ كَصِفَتهِ، وكُلٌّ مَظهَرٍ كظهورهِ.

وقوله: مِن الشَمسِ إلى الشَمس مَسيرَة أربَعين عاماً.

أي أربَعين ليلَةً يَفقهُ سِرَّها العارِف، وسُمِّيَ عاماً لأنَّ فيضُهُ عَمَّ الأكوانَ البَسيطَة العلويَّة والسُفليَّة.

وقوله: فيها خَلقٌ كَثير.

أي جَماعَة مَخلوقون عارِفون باللَّه.

وقوله: لا يَعلَمون أنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم أم لَمْ يَخلقْهُ.

أي لَمْ يركَب فيهِم مِنَ الأكوان ما رَكَّبهُ في آدَمِ الظُلْمَة.

وقوله: وراء قمركم هَذا أربَعين قَمَراً ما بينَ القَمر إلى القَمَر مَسيرَة أربَعين عاماً مِنَ القرصِ إلى القرص.

فهَذا القَمَر مِن دَرَجَةِ الأقمار، وهو الذي قالَ اللَّه فيه: والقَمَرُ قَدَّرناهُ مَنازِلَ حَتَّى عادَ كالعُرجُون القَديم (يس39).

والأولياء في هَذهِ الدَرَجَة مائَة وسَبعون وَليَّاً مِنَ الخَمسمائَة وَليَّاً

(أي مِنَ الأيتام الخَمسمائَة).

وقيل: مُصعَبُ بن عُمير العَبدي وأربَعون قَمَراً (أي أربَعون شَخصاً) يستَمِدون نورَهم مِن نورِ القَمَر الذي هوَ مُصعَبُ بن عُمير، ويَمِدُّون بهِ أهل المَراتِب الذين هُم مِن دونهم.

وقولهِ: مِنَ القرصِ إلى القرص مَسيرَة أربَعين عاماً.

فهوَ عِلمٌ باطِن كَما تَقَدَّمَ الكَلامُ عَن الشَمس.

وقوله: فيها خَلقٌ كَثير.

الخَلق: الجَماعَة أي جملة ما دونَهُم مِن درُج الأيتام.

وقوله: لا يَعلَمون أنَّ اللَّه خَلَقَ آدَم أم لَم يخلقهُ.

مَعناه لَمْ يَحلُّوا في التَراكيبِ البَشَريَّة، وقَد ألهموا كما ألهمت النحلة.

والنَحل هُم المؤمنون وقَد ألهَمَهُم اللَّه ـ أي ـ عرفهُم ووَكَّلَهُم بِقَطعِ الرَحمَة عَن عنصر الأوَّل والثاني لأنَّهُم موَكَّلون بالرِياحِ والسَحاب والرَحمَة والعَذاب.

وقوله: قَد وَكَّلَ بِهِم مَلائِكَةً مَتى لَمْ يَلعَنوهُم عَذَّبوهُم.

أي وَكَّلَ اللَّه المَلائِكَة بالأوَّل والثاني وأشياعهم.

مَتى لَمْ يَلعَنوهُم عَذَّبوهُم . أي . عَذَّبوا أئِمَّةَ الضَلال والعَذاب حَرَقاً عليهم، لأنَّ اللَّه (سُبحانهُ وتعالى) قَد وَكَّلَ على جَهَنَّم مَلائِكَةً

غِلاظاً شِداداً، وفيهِم يَقول في كِتابهِ: وما جَعلنا أصحابَ النار إلاَّ مَلائِكَةً وما جَعَلنا عِدَتهم إلاَّ فِتنَة (المدثر31). واللَّه أعلَم.

الوَجه الثاني: وباللَّه أستعين وعَليهِ أتَوَكَّلُ في سَفَري لأنَّ السَفَرَ طَلَبُ العِلم، ومُسافرَةُ العُلَماء مُكاشَفتهُم، وهوَ حَسبي ونِعمَ الوَكيل.

فقولهِ: وراءِ شمسِكُم هَذهِ أربَعين شَمساً.

فشمسكم أي الصّورَة الضِيائيَّة التي تمت وظَهَرَت

مِنَ الفيضِ الثاقِب المُضيء.

وقوله: أربَعون . أي . أيّام الشَهر ثَلاثون، وأحرُف (هبق) عَشرَة، وهَذا معنى كَلام مولانا الصّادِق (منه الرحمة) إلى أبي صالِح النَبيلي، قالَ: سَألتُ أبا عَبد اللَّه عَن قِبَّةِ آدَم وهَل خَلفِها قِبَّة؟

قالَ: نَعَم: واللَّه إنَّ للَّه قِباباً كَثيرَة، وإنَّ خَلفَ مَغربكُم

هَذا تِسعَةٌ وثَلاثين مَغرِباً أرضاً بيضاء مَملوءةً خَلقاً.

فالتِسعَة وثَلاثون: أيَّام الشَهر وحروف (طَشش).

والأرض: كون الظل.

ولِذَلِك قال: يستَضيئون بِنورها . أي . لا يَرون ظِلاً ولا ظُلمَةً، ولا يَعصون اللَّه طُرفَةَ عَين، ولا يَدرون خَلَقَ اللَّه آدَم أم لَمْ يَخلقهُ، يَتَبَرأون مِن فُلان وفُلان.

فقـالَ السَّـائِل: كيـفَ يَتَبَـرؤون مِـن فُـلا ن وفُـلان وهُـم لا يَـدرون خَلَقَ اللَّه آدَم أم لَمْ يَخلقهُ؟

فقالَ المولى للسَّائِل: عَن هَذا، أتَعرِف إبليس؟.

فقالَ لا، إلاَّ بالخَبَر.

قال: فأمرتُ بلَعنهِ والبَراءة مِنهُ.

قلتُ نَعَم.

قالَ: وكذَلِكَ هُم.

فظاهِرُ هَذا الكَلام أنَّها قَد أتَت الشواهِدُ بالأسانيد المَنقولَة إنَّ للَّه عوالِم كَثيرَة مِن وراءِ جابلقا وجابرصا، وفي أقاليم لَم نَعرِفها، وإنَّ ليلنا نَهارهُم ونَهارهُم ليلنا فهَذا روايَة الفَلاسِفَة والمُنَجمين.

ونَرجعُ إلى قولـهِ: مَسيرَة مِنَ الشَمسِ إلى الشَمسِ أربَعين عاماً.

مَعنـاهُ إذا مَرَّ القـاف بيومٍ مِنَ الشَهرِ الـذي هوَ الحَرف لَم يَعُد يَرجِعُ إليه حَتَّى يُتِمَّ مَدارهُ، فَيَرجَعُ ثانياً مِن حَيثُ النِهايَة.

وقوله: فيها خَلقٌ كَثير.

أي بينَ هَذين الحَرفين (المعوَج والمُستَقيم) اقتِباسُ أهلِ المَراتِب العلويَّة، ولا يَرون ما تَرى العوالِم الأرضيَّة مِنَ الزيادَة والنُقصان.

ومِمَّا يؤيِّدُ قولنا أنَّهُم لا يَرونَ زيـادَةً ولا نُقصـان مـا ذَكَرَهُ صاحِب رِسالَة البيان وهوَ قوله: بَعدَ مَعرفة المؤمِن باللَّه وارتِقائهِ المَراتِب

السُفليَّة والعلويَّـة ووصـولهِ إلـى دَرَجَـةِ البـاب، فيَظهَـر لَـهُ البـاب، ويُعَرِّفـهُ بِحَقِّـهِ ويُعَلِّمـهُ ويُؤدِبُـهُ ويوجِـدهُ مَعرِفتـه، والشـاهِدُ بَذَلِـكَ قولـه تعالـى: فإذا جـاء أجلهـم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون (النحل61).

والأجلان: الباب والحِجاب، فإذا بَلَغَ المؤمِنُ إلـى الحِجاب أوصَلَـهُ الحِجاب إلـى المَعنـى، فيَظهَـر لَـهُ المَعنى ويُمكنـهُ مِنَ النَظَـرِ إليـهِ بِحَسبِ ما يَستَحِقُّهُ ولا يَغيبُ عَنـهُ ساعَةً واحِدَةً، فإذا كانَ هَذا حالُ المؤمِنُ الذي يَرقى إلى النورانيَّة لَم يَغِب المَعنى عَنـهُ ساعَةً واحِدةً، فيَعلَمُ مَن لَـهُ لبٌّ أنَّ أهل المَراتِب لَهُم استِعدادٌ قَويٌّ لَـم يدركهُ المؤمِنُ الذي يَحِلُّ الصَفاء.

وأمَّا القَمَر: فهوَ ظهورهُ بالتَمام.

واعلَم أنَّ اسم قاف يَحتَوي على الحُلَلِ الثَلاث لأنَّ من أوَّلِ مَدارهِ إلى تَمامِ مَدارهِ كُلَّ يومٍ يُطلَقُ عَليهِ اسمُ قـاف، كَما كُلَّ يومٍ يَلوحُ بـهِ نَهرُ الخَمر، والأنـهار الأربَعَة مُضافَة إليـه لأنَّ الخَمر يَكونُ لونـهُ احمَراً وأبيَضاً وأصفَراً، وحين النُقصان يُضاهي لون المـاء بالمزج، وسُمِّيَ قَمَراً لأنَّهُ قَمَرُ كُلِّ ظُلمَة، وأضاءت بوجوده الأنوار السَماويَّة.

ومَعنى أربَعين قَمَراً لأنَّ ميمُ الازدِهار أربَعين وأربَعَة.

وقوله: مَسيرة مِنَ القرصِ إلى القرصِ.

ذلك كمثل عَدَدِ الأقمار، لأنَّهُ كَما يَبدو أوَّلاً يَعودُ ثانياً بِلا زِيادَة ولا نُقصان.

وإنَّ العارِف بِهَذهِ الصورَة النورانيَّة الظاهِرَة العلويَّة فقَد يُلهم السَعادَة والتقَرُّب إلى اللَّه بالبَراءَة مِن فُلان وفُلان، وعَن قَريب يَقول الكافِر: يا ويلتي ليتني لَمْ أتَّخِذ فُلاناً خَليلاً لَقَد أضَلَّني عَن الذِكر (الفرقان28-29).

وفُلان: سَكَد، ومَن عَرَفَ الحَق فقَد عَرَفَ أهلهُ، ومَن جَهلهُ فقد بَقَي بالعَمَى والحيرَة.

هَذا الذي تَيَسَّرَ مِن تَفسيرِ هَذهِ المَسألَة، وأسألهُ تعالى بذاتهِ واسمهِ وبابهِ أن يُلهِمنا السَعادَة آمين والصَلاةُ على النَبيِّ الكَريم، وفوق كُلِّ ذي عِلمٍ عَليم.

المسألة الرابعة:

عَن الحروف المُعجَميَّة، مَن سَمَّاهُم بِهَذهِ الأسماء ورَكَبَهُم؟ وما مَعنى تَسميتهم (ا ب ت ث ....) إلى آخرهم؟ وما دَلالتهم؟ وما كانَت أسماؤهم في سائرِ القِباب؟

الجواب وباللَّه التوفيق:

اعلَم يا سَيِّدي (أسعَدَكَ اللَّه سعادَة أوليائهِ العارفين) أنَّ الحروف

المُعجَميَّة تَحتَوي على كافَّةِ اللغات والألسُن، فلا ناطِق يَنطُق إلاَّ بتِلكَ الحروف وإن تَغيَّرَت الألسُن والنطق والكِتابَة، فهيَ قائِمَةٌ بذاتها، ولا ناطِق يَنطُقُ إلاَّ بتِلكَ الحروف، لأنَّها فروع شَجَرة طور سيناء العاليَّة، وقَد سُئِلَ المولى الصَّادِق (علينا من ذكره السلام) عَن الحروف المُعجَميَّة.

فقالَ: إنَّ أصل الحروف واحِدٌ وثَلاثين.

فَحَرفٌ مِنها: هوَ ذاتهُ لا يَجري بهِ نطق، وهوَ وَهمٌ لا يَنطقُ بهِ لِسانٌ.

ومِنهُم حَرفان: كوَّنَ اللَّه بهما السماوات والأرض (أي هُما عَجز ومعجز).

ومنهم الثَمانيَة وعشرون: جَعَلَهُم آلة للنطق وقَدَّرَ عَليهِم المَنازِلَ الهِلاليَّة.

وبِهَذهِ الحروف سِرٌّ عَظيم يُفصِحُ عَن ظهور المعنى بالصورة النورانية وسوفَ نذكرُ شَطراً مِن أسرارِ تِلكَ الحروف بموضعهِ إن شاءَ اللَّه.

وأمَّا الذي سَمَّاها: فهوَ المَعنى الأزَل القَديم، وسَمَّاها لحاجَةِ المَخلوقين إلى الأسماء والكنى كحاجتهم للنطق،

وفي هَذا المَعنى يَقول الشيخ أبو عَبد اللَّه الحسين بن حمدان

الخصيبي (نَضَّرَ اللَّه وَجهَهُ) في ديوانـهِ عَن كيفيَّة الاسم الأعظَم:

اللَّـه أكبـــر أكبـــر اللّــه

اسـم لمعنــى جـل مـن سـماه

سـماه معنـاه لمعنـى آخــر

لتألـه الحـدث الـذي ناجـاه

اللَّه أكبر: الاسم، وأكبَرُ مِنـهُ مَعنـاهُ، ومَعنـاهُ سَمَّاهُ للخَلقِ الآخَر المُحتاجين للأسماء والكنى.

وكذَلِكَ الحروف أظهَرها المَعنى القَديم لحاجَةِ المَخلوقين إليها، وأوَّلُ مَن رَقَّمَ الحروف المُعجَميَّة حروفا مفردة هِبَةُ اللَّه شيث (وهوَ المَعنى القديم) وروىَ عَنـهُ أصحابُ التَأليف مِنَ الموَحدين أنَّـهُ جَمَعَ كُتُبَ أبيـهِ آدَم باثنى عَشَر ألـفِ جلد مِن جلودِ البَقَر ودَبغَها حَتَّى ابيَضَّت، ورَقَّمَ بِها الحروف المُعجَميَّة، ولا يُعرَفُ توحيدُ اللَّـه وتنزيهـه إلاَّ مِن جِهَـةِ الحروف، لَكِـن لا أقـول: إنَّ المَعنى داخِلٌ تَحتَ الحروف، لأنَّ الحروفَ آلـةٌ للنطق، والصّورَة آلَـةٌ للوجود، وإنَّ اللَّـه جل أن يوصف

[2]

بموصوف (   )

وأمَّا الذي رَكَّبَها فهوَ مولانا شيث (علينا من ذكره السلام) وجَمَعَ

فيها كَلامَ الحِكمَةِ (أي كِتابِ الأسوس).

وأوَّلُ مَن نَقَلَ الحروف مِنَ الخَطِّ اليوناني إلى العَرَبي فهوَ سيدنا إبراهيم الخَليل.

وأوَّلُ مَن نَطَقَ بالعَرَبيَّة يَعرُب بن قحطان مِن أرضِ اليَمَن فهوَ مِن العالَم الأصغَر مِن دَرَجَةِ المُختَبرين.

وأمَّا معنى تَسميتها (ا ب ت ث) إلى الآخِر.

فالألف: هوَ اللَّه الأحَّد.

والباء: أبو الأبوَّات.

والتاء: التوَّابُ الرَحيم.

والثاء: ثَباتُ توحيد أمير النَحل.

والجيم: جَلال الجَبروت.

والحاء: حَميد مَجيد.

والخاء: خالِق السماوات والأرض.

وعلى هَذا قياسُ الحروف.

وإنَّ الحروف تجمع بِنُقَطِها وأصولها إحدى وخَمسين، وعَليها قُدرت أشخاصُ الصَلاة الواحِد وخَمسين، وتَجمَعَهُم منازلُ القاف، وبالتَشخيص هُم أشخاصُ النُجَباء، والإشارَةُ بالحروف: ما كانَ مُنَقَّطاً فهوَ دَليلٌ على الزِيادَة، وما كانَ عارياً مِنَ النُقَط فهوَ دَليلٌ

على النُقصان.

والحروفُ تُقسَمُ على وَجهين: شَمسيَّة وقَمَريَّة.

فالشَمسيَّة ما كانَ مُشَدَّداً، والقَمَريَّة ما كانَ مَنصوباً، لأنَّ القَمَريَّة حروف: أبغ حَجَّك وخف عقيمه.

لأنَّ المَنازِل الهلالية الثَمانيَة وعشرين يوجَدُ مِنها وجودِ الشَمس: أربَعَةَ عَشَر، وإذا ظَهَرَ القَمَر كانَ في الحال كذَلِك، ولا توجَدُ المنازِل طالِعةً بتمامها في وَقتٍ واحِد بَل إذا غابَ مِنها أربَعَة عَشَر ظَهَرَ نَقيضها في القطب.

وقيل: فالشَمسيَّة هم أوَّلِ المَدار في الزيادَة، والقَمَريَّة في النُقصان، وهُم أربَعَةَ عَشَر شَمسيَّة، وأربَعَةَ عَشَرَ قَمَريَّة، أي أربَعَةَ عَشَر نورانيَّة، وأربَعَةَ عَشَر ظلمانيَّة.

فالأربَعَةَ عَشَر الحروف المُنَقَّطَة الفوقيَّة مِنها أحدَ عَشَر تُجمَعُ بنُقَطِها وأصولها ثلاثين، وهيَ مَنازِلُ القاف.

والتَحتيَّة سَبعَة: وهُم حبيبُ الكَليم، وهُم السَبع ظهورات الذاتيَّة مِن هابيل إلى مولانا العين.

وقيل: حبيب تَثليث وتَربيع.

والنُقَطُ الفوقيَّة بدون الأصول: ثمانيَةَ عَشَر، وهُم حروف (طشش هبق) وأصولهم أحَد عَشَر: وهُمْ (هبق) بالجمَّل، لأنَّ الهاء

خَمسَـة، والبـاء اثنـان، والقـاف أربَعَـة، وعَنـهم تَمتَـدُّ نَظـرَةُ الأئِمَّـة الإحدى عَشَر، ولَهُم كَـلامٌ ثـاني: وهوَ إذا قـالَ القـارئ: ألـفٌ فكـان ثَلاثَـة حـروف: وهـيَ التَجَليـات الثَلاثَـة، وفـي هَذا المَعنى يقـول الشيـخ أبو عبد اللَّه الخصيبي (قدس اللَّه روحه) في شعرهِ:

أرى ألف الحـروف هـي الحـروف

لأن الفــاء منــه بــه تطــوف

فمَعنى الألف: هوَ الجوهَرُ الفَرد، والفـاء هوَ الفيض الجوهَري ـ أي ـ الفطرَة الأبَديَّة بدوءُ مِنهُ ومعادهَا إليه.

وقالَ فيهِ أيضاً:

تـهجينـا فقـام الـلام فيــه

علـى التشخيص والفــاء العريـف

مَعناهُ أنَّ الـلام راجِعٌ إلـى الألف، لأنَّ الـلام هوَ التَجَلِّي فـي تَمامِ المَدار.

وقالَ فيهِ بَعدَ كَلامٍ طَويل:

وحـرف الـلام يرجــع إن تـهجـا

إلــى الألـف المؤلـف يا شـريف

كـذاك الفــاء راجعــة إليــه

وحـرف الفــاء للأشيا حريـف

أي إذا قالَ القارئ: فاء ففيهِ ألفٌ.

وإذا قالَ ألفٌ: ففيهِ ألف.

وإذا قالَ لام: ففيهِ ألف.

وإذا قالَ ألف: ففيهِ لام.

لأنَّ الألف هوَ أسُّ الحروف، وقَلَمُ المَدار.

وغايَةُ القول:إنَّ كُلَّ حَرفٍ إذا نَطَقتهُ يَصيرُ زوجَاً أو ثَلاثَة، لأنَّ الباء فيهِ ألف، والتاء مثلهُ، وهَلُمَّ جَرَّاً في سائرِ الحروف، وقَد بيَّنَ الشيخ (نضر اللَّه وجهه) ذَلِكَ بقولهِ:

كذاك ثلاثة في الاسم فردا

وعند حروفه زوج لطيف

لأنَّ الألف: تَثليث وعَجز ومعجز.

والجَرَّةُ التي فوق الباء وتحت التاء والثاء: هيَ جَريانُ الزِيادَة، ومَعناهُم التَثليث وعجز ومعجز لأنَّهم على هَيئَةٍ واحِدَة.

والجيم والحاء والخاء: على هَيئَةٍ واحِدَةٍ.

والدال والذال: على هَيئَةٍ واحِدَةٍ: مَعناها التَثليث وعَجز ومعجز.

والحَرفُ المُفرَد: الإشارَة بهِ للجوهَر الفرد.

والشَرحُ في هَذا المَعنى غَزير لو أتينا بهِ على تَمامِ الكَلام لكانَ بذَلِكَ كِتاباً لَكِنَّ مَبلغَ القول إنَّ دَلالَةِ تِلكَ الحروف كافَّةً على

الصّورَة النورانيَّة، وكُلِّ حَرفٍ يُرى بحالَةٍ، لأنَّه كُلُّ يومٍ هوَ في شانٍ (تَعالى شَأنَهُ) ويُقالُ لهَذهِ الحروف حُجُب المَعنى الأزَل القَديم، وكُلُّ حَرفٍ يُسَمَّى حِجاباً، لأنَّ اللَّه إذا ظَهَرَ لعالَمِ النور ظَهَرَ مِن وَراءِ ثَلاثينَ حِجاباً وهُم الشَهر الهِلالي.

وقالَ في كِتابِ الأسوس: إنَّ اللَّه إذا ظَهَرَ لعالَمِ النور ظَهَرَ مِن وَراءِ أربَعين حِجاباً، وإذا ظَهَرَ لِعالَمِ البَشَر ظَهَرَ مِن وراءِ سَبعين حِجاباً (أي اسم عَين).

وقيلَ: إنَّ اللَّه إذا ظَهَرَ لكافَّةِ العالَم ظَهَرَ مِن وَراءِ سَبعين حِجاباً من نور وظلمة.

وفي مَعنى ذَلِكَ قالَ صاحِب كِتاب التَنبيه: إنَّ للَّه سَبعين حِجاباً مِن نورٍ وظُلمَة، إلى قولِه: إنَّ كُلَّ موجود ظاهِر بالوجود مِن خَلفِ سَبعينَ حِجاباً مِن نورٍ وظُلمَة.

وهيَ حجُب الصِفات الإلهيَّة الكونيَّة، مِنها تِسعَةٌ وأربَعون صِفات إلهيَّة نورانيَّة، وواحِد وعِشرون صِفات كونيَّة ظلمانيَّة.

فالمُراد بالحجُب السَبعين: الحروف المُعجَميَّة بنُقَطِها وأصولها واحِد وخَمسون، وحروف (طَشش) ثمانية حروف، وحروف (هبق) عَشرَة، وألف المدار، فالجملَة سَبعون.

وقولهُ مِنها: تِسعَةٌ وأربَعون صِفات إلهيَّة نورانيَّة: وهُم الأوتار

الداؤديَّة، ثَمانيَّة ووأربَعون، وألف المَدار تمام التِسعَة وأربَعين.

ومِنهـا واحِـد وعشـرين صِـفات كونيَّـة ظلمانيَّـة: وهُـم حـروف (طشش) بنُقاطها وأصولها عشرون، والصُّورَة التي تتَعَلَّقُ بِها هَذهِ الحُلَلُ الثَلاثَة فهي الواحد والعشرون لأن الحلل الثلاث تُطلَقُ علـى الأسـامي البَشَـريَّة كمثـل قولنـا طفـل شـاب شـيخ، فهَـذهِ الأسماء البَشَريَّة، لأنَّ المَعنى ظَهَرَ فـي هَذهِ الحُلَل نـوراً وبَشَراً، ولِـذَلِكَ قيـل: إنَّ اللَّـه خَلـقَ آدَم علـى مِثـالِ صـورتـهِ ـ أي ـ تَجَلَّـى للآدَميين على مِثالِ صورهم في هَذهِ الحُلَل.

وقالَ: بمعنى الحجُب السَبعين بَعدَ شَرحٍ طَويل اختَصَرناهُ إيجازاً، وهـوَ قولـه: فلـو ظَهـرَت ذاتـهُ المُقَدَّسَـة بـدون الاحتِجـاب بهَـذهِ الصِفات لاحترَقَت المَراتِب وأهلها من شِدَّةِ سطوع أنوارِ جَمالها وجلالها وتَلاشَت بالكُليَّة وهيَ باطِنُ الحروف.

أي لولا ظهورهِ بصورَةٍ مُعايَنَـةٍ كُلٌّ يَراها علـى قَدرِ قوَّتـهِ ويَجدها مِن حَيثُ ذاتـهِ لَمـا استَطاعَت الأبصـار أن تـراه، ولا العقـول أن تُشيرُ إليه، ولولا وجود تِلكَ الحروف لَما حَصَلَت بـهِ مَعرِفَـة أبداً، لأنَّ الأفهامَ لا تُشيرُ إلـى شيءٍ موهوم، ولا تَقدِرُ على ضَبط شيء إلاَّ أن يُرَكَّبَ في مَعقول لكي تَعرِف ما غابَ بِما حَضَر.

وقَد رَوَى أصحابُ التَـأليف: إنَّ نطق المَراتِب القُدسيَّة مِن جِهَـةِ

هَذهِ الحروف.

قالَ مولانا الصَّادِق (منه الرحمة) في كِتابِ المراتِب والدرَج: إنَّهُ كُلَّ مَن صَعَدَ إلى الحضرة القُدسيَّة يُسَمَّى عَبد اللَّه، وكُلُّ أهلِ المَراتب أسماؤهم اسمٌ واحِد وإنَّما اختَلَفت أسماؤهُم في حالِ الظهور في البَشَريَّةِ لحاجَةِ المَخلوقين.

وأمَّا أسماء الحروف في سائرِ القِباب، فإنَّ هَذه الحروف هي أصلُ التكوين، وهي قَبلَ سائرِ الأدوارِ والأكوار، وأسماؤهُم لَمْ تَختَلِف إلاَّ باختِلافِ الألسن، إلاَّ أنَّهُم قَبلَ كُلِّ هَبطَةٍ.

وقَد ذَكَرَ سيدنا هالِت في رِسالتهِ قال: إنَّ اللَّه بَعدَ أن اختَرَعَ الاسم الأعظَم مِن ظاهرِ نورِ ذاتهِ، لا مِنَ الذاتِ الكُليَّة، لأنَّهُ لَمَّا تَجَلَّى لَهُ باريه بغيرِ ذَلِكَ النور تَدَكدَكَ بَعدَ اختِراعهِ مِن نورِ ذاتهِ، فتَجَلَّى الباري لَهُ وأمرهُ أن يخلق الباب فخَلقهُ كَما شاءَ باريه، والباب أمَدَّ الأيتام الخَمسَة، وقَد قَدَّ العوالِم العلويَّة وجَعَلَهُم أجساماً نورانيَّة مضيَّة، وجَعَلَ هَذهِ الحضرة القُدسيَّة التي هيَ جرمُ الباب مَركَزاً لَهُم وفطَرَها مِن نور الحجاب، وأمَدَّ نَظرتَها عن إفاضَةِ النُقطَة المَركَزيَّة، وهيَ نورٌ رائِق أخضَر، وأهَلَّ فيها بالصّورَةِ النورانيَّة، وأورى الظهور بالزِيادَةِ والنُقصان، واختَلَفَت على المَلائِكَة الصُّوَر، ولَمْ تَختَلِف عَليهِم القُدَر، فقالوا إلهنا

إظهَر بِما شِئت كَيفَ شِئت لا إلـه إلاَّ أنت، وذَلِكَ بتوفيقـهِ لَهُم، وكانَ كلامهم هَذا نيَّةً في سَرائرهم، فحينَ ذَلِكَ قَدَّ الحروف عن المِثالِ الوجودي، قائِمَـةً بـذاتِها لا تَـدلُّ إلاَّ علـى نَفسِـها، ولَمَّـا اجتَمَعَت تِلكَ الحروف دَلَّت باجتِماعها على غيرها.

أي إذا رقمت الحروف مُفرَدَة كانَ كُلُّ حَرفٍ دالاً على المَثالِ الذي ظهر مِنهُ.

وأمَّا الحروف التي تُحصَرُ بالكِتابَة ليسَ هيَ الغايَة، بَل الغايَةُ في مَعنى باطنِها، وأسألهُ تَعالى بأن يَجعلنـا بـأمرهِ مؤتَمرين وعَن نواهيهِ مُنتَهين، وصَلَّى اللَّه على سيدنا محمد وآله وسَلَّم.

المسألة الخامسة:

عَن تَشخيصِ شـهر رَمَضان دونَ غيرهِ، ومـا مَعنى قول النَبـي (ص) أيَّامـهُ ليست كالأيَّام، ولياليهِ ليسَت كالليالي.

الجواب وباللَّه التوفيق:

اعلَم أيُّها السيِّدُ الكريم والأخ الحَميم أنَّ هَذا الجَواب يفَسَّرُ على جُملَةِ وجوه، مِنهـا أنَّ شَخص شَـهر رَمضان: عبد اللَّـه بن عبد المُطَّلِب وهوَ اسمٌ ذاتي، والصومُ فيهِ: دَليلٌ على صَمت عبد اللَّه، والفطر: ظهور رسول اللَّه، وتَحليله كل ما حَرَّمهُ عَبد اللَّه.

وقيلَ: إنَّ الصوم: هوَ الصَمت، والصمت: هوَ كُتمانُ المَعرِفَة في

جولةِ الضد.

والفطر: ظهورُ القائِمِ بالكَشف، وإظهارهُ كُلَّ مَستور.

والشَهر في الباطِن: هوَ الظهور.

ورَمضان: هوَ النقطَةَ الوَهميَّة الجَوهَرُ الفَرد.

ولِذَلِكَ قالَ الشاب الثِقَة (قدس اللَّه روحه) في الكِتابِ المَعروف بمَجموعِ الأعياد: رِوايَة عَن رَسولِ اللَّه (ص) أنه قال لأصحابه يوما وهم يقولون: يا رسول اللَّه قد ذهب رمضان.

فقال (ص) رمضان لا يذهب ولا يجيء، ولا له عوض.

وقال: بل شهر رمضان يذهب ويجيء وله عوض، ورمضان لا تقولوا يذهب ويجيء، فإنكم واللَّه ما تدرون ما رمضان، ولكن قولوا شهر رمضان كما قال اللَّه: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (البقرة 185).

أما سمعتم قوله تعالى: فمن شهد منكم الشهر فليصمه (البقرة 185).

فأنتم تشهدون الشهر، وأما رمضان فلا تقدروا أن تشهدوه، والشهر منسوب إليه إكراما وإجلالا وتعظيما وتشريفا لرمضان، وأن رمضان بأعلى مكان.

وهَذا بيانٌ جَليٌ على أنَّ رَمَضان هوَ الجوهَرُ الفَرد الذي لا

تُشاهِدهُ النواظِر، والشَهر هوَ الزِيادَة، والحَالان حالٌ واحِد وأعوذُ باللَّه أن أقولَ الغيبَة قدم، والظهور حدث، لأنَّ المَعنى قدم كلّهُ لَكِنَّ العَجز الذي تَراهُ الأبصار هوَ واقِع ولائِق بأهلِ العَجز، وهُم العَوالِم الأرضيَّة، وإنَّ المَعنى لا يَتغيَّر ولا يَتبَّدَّل بَل التَغيير والتَبديل فينا لا فيه لأنَّهُ تَعالى إذا ظَهَرَ يَظهَر بذاتهِ الكُليَّة، لَكِن نَحنُ نَراهُ مِن حَيثُ ذواتِنا، كالناظِر الذي ينظرُ بالماء فيعكس بصرهُ فيرجع فيرى هيئتَهُ في الماء، وأمثالهُ في المرآةِ الصَقيلَة.

وأمَّا تَشخيصُ شَهر رَمَضان دونَ الشهور، وأيَّامه دونَ الأيَّام، ولَياليهِ دونَ الليالي، فلهُ إشارَة جَليَّة تلمحها العقول الصَّافيَة وهيَ مِن قولهِ تَعالى: إنَّ ناشِئَةَ الليل هيَ أشَدُّ وَطأً وأقوَمُ قيلاً إنَّ لَكَ في النَّهارِ سبحا طويلا (المزمل7،6)

فناشِئَةُ الليل هيَ مِن حَدِّ الرَابِع عَشَر إلى تَمامِ المَدار.

والسبح بالنَّهار: الزِيادَة بَعدَ النُقصان.

وقيلَ: ناشِئَةُ الليل: هيَ الضَعف والوَهن.

وسبح النَّهار: كونُ الضياء لأنَّهُ يثقبُ ظُلمَةَ الليل بضيائهِ فيَعودُ كالنَّهار.

وتَشخيصُ أيَّامِ شَهر رَمَضان: فهيَ المَنازِل الهِلاليَّة العلويَّة.

ولياليه: مَأخوذَة مِنَ الصُّورَةِ الظليَّة ـ أي ـ حروف الظهورات

السَبع وهي الثَمانيَة وعشرون حرفا وعجز ومعجز تَمام الثَلاثين.
وكذَلِكَ اسمُ حَيدَرَ بالجمَّل الصَغير يُجمَع ثَلاثين.
وصومه دَلالَة يَستَدِّلُّ بِها العارِف على كَنهِ
الأسرار الخَفيَّة في مَعنى الصُّورَة النورانيَّة، مِنَ الكِتمانِ لِمَعرِفتها.
وشَهرُ رَمَضان عِندَ الطَّائِفَة الموَّحِدَة أوَّلُ السَنَة العَرَبيَّة، وهوَ أوَّلُ مَدارِ القاف وعودتهُ بالسَنَة ومِنهُ تكونُ الإشارَة للمَظهَرِ النوري.
وقول رَسول اللَّه (ص) أيَّامهِ ليسَت كالأيَّام، ولياليهِ ليسَت كالليالي، أيَّامه زاهِرَة، ولياليهِ باهِرَة.
أي أيَّامه زاهِرَة بالفيضِ المُضيء، ولياليهِ باهِرَة بالعجزِ الوهين، تحصرُ عَن إدراكهِ أبصار وعقول الناظرين.
ووَقَعَ له التَشخيص دون غيره لِمَعنيين:
المَعنى الأوَّل: إنَّهُ مِن عبد اللَّه كانَ ظهورُ النَبي، ومِن النبي ظَهَرَت الشريعة الإسلاميَّة ونسخت ما كانَ قبلها مِنَ الشَرائِع فلِذَلِكَ وجَبَ تَفضيلهُ وتَقديمهُ على الأشهُرِ كَما تَقَدَّمَت وتَفَضَّلَت شريعَةِ الإسلامِ على غيرها.
قالَ الشيخ الخَصيبي (نضر اللَّه وجهه) إذا كانَت الظهورات كُلَّها

حدثاً فظهور المَعنى في القِبَّة العَرَبيَّة قدم.
وفي هَذهِ الصُّورَة العلويَّة تَجَلَّى في القدم، ومِنها كَانَت الدَعوَة.

ولَمَّا دَخَلَ المعنى على فرعون وهوَ الضد (أي الأوَّل) والمَعنى كانَ في ذَلِكَ الوَقت يوشَع، فرآهُ في صورَةِ العين فعَرَفَهُ أنَّهُ هوَ الذي أعطاهُ النَظرَة، ولَمَّا رآهُ بغير تِلكَ الصُّورَة جَهَلَهُ، وفي هَذهِ الصُّورَة بذاتِها يَكونُ ظهورهُ مِن عَينِ الشَمس الحَاميَة حينَ الكَشف وفيها يَراهُ عِندَ الموت كُل مؤمِن ومُنافِق.

المَعنى الثاني: تَفضيلهُ وصومه أمراً بالتَقيَّة والكتمان إلى حين ما يؤذِّن بالإعلان، وتَفضيلهُ إشارَة للصُّورَة العلويَّة، وصومهُ كُتمان مَعرِفتها، ولستُ أقول إنَّ أيَّامهُ ولَياليهِ أفضَلُ مِن أيَّامِ المياقيت ولَياليها، مثل عيد الأضحى، وعيد الغَدير، والمُباهَلَة، والفراش، وما أشبه ذَلِكَ مِنَ الأعياد.

ومثل الليالي البيض التي قالَ فيها المولى: إنَّ مَن صامَ الليالي البيض كأنَّما صامَ الدَهرَ كُلَّهُ. وهي:

السابِع والعشرون من رَبيع الأوَّل، والسابِع والعشرون من رَجَب، والخَامِس والعشرون من ذي القعدَة، والثامِن والعشرون من ذي الحِجَّة.

بَل أقول: إنَّ الأيَّامَ كُلُّها للرَّب، ولَكِنَّ هَذهِ الأيَّام فَضَّلَها الرب، ويَستَغفرهُ فيها أولياؤه، ووعدهُم فيها بالإجابَة، ويَغفرُ فيها لِمَن يَشاء مِن عِبادهِ المؤمنين.

وأبانَ تَفضيلها أبو سَعيد (قَدَّسَهُ اللَّه) بأسانيد مصححةٍ مَنقولَة بالإسنادِ عَن الأئِمَّة الأطهار الذينَ أزالَهُم المَعنى وظهر كمثل صورهِم بذاتهِ.

فهَذا الذي أعتَقدهُ وأدينُ للَّه بهِ وفَهمُكُم أجدَر وأنوَر وأزكى وأخبَر فهَذا يا سيِّدي الذي أعتَمدهُ وإنَّني قَد اختَصَرتُ الشَرح لأنَّ اللبيب يُقنعهُ القَليل لقولِ العالِم: إنَّ العاقِلَ يَقتَعُ بالتَلويح، والجاهِل لا يَنتَفِع بالتَصريح، وصَلَّى اللَّه على سَيدنا مُحَمَّد وآلهِ وسَلَّم.

المسألة السادسة:

عَن سَبَبِ وقوف آدمنا المَهبوط وهَل العِلَّةُ فيهِ؟ وهَل هوَ مِنَ القِبابِ الماضيَة أم لا؟

الجواب وباللَّه التوفيق:

اعلَم أيُّها السيِّدُ الكَريم أنَّ ذِكر آدَم والهَبطَة لَهُما شَرحٌ طويل وغَزير، ولَقَد شَرَحَهُ موالينا أهل البيت، وكَذَلِكَ أسيادنا أهل التوحيد، وقَد ذَكَروهُ في جُملَةِ شروحاتٍ مِن مُصَنَّفاتهِم، ومَعنى

جميعِ شرحِهم سوفَ أختَصِرُ خواصَّهُ في كَلامٍ يَسير، وهوَ أنَّ جميعَ نَصوصِهِم في مُصَنَّفاتِهِم: دَلَّ على أنَّ الآدام ثَلاثَة: آدَم مَحمود، وآدَم مَذموم، وآدَم مُهمَل.

فآدَم المَحمود: هوَ السيِّد مُحَمَّد وهوَ أبو أهل النور.

وقيلَ: زيد بن حارِثَة لأنَّهُ مُمِدُّ العَوالِمِ النورانية بالعلمِ والمَعرِفَة، ومِنهُ يَقتَبِسون نورهُم.

وآدَم المَذموم: هوَ الثاني وهوَ آدَم الكفر والطغيان والظُلمَة.

وآدَم المُهمَل: هوَ الذي وَقَعَ عَليهِ الخِطاب بالتَخويف والعصيان والمُخالَفَة والنسيان.

وإنَّ بَعضُ أهلِ التَأليف يوقِعون المُخالَفَة والعصيان بآدَم المَذموم، ويوقِعون خِطاب التَخويف والنسيان والأكل من الشجرة بجماعَةِ المؤمنين الذينَ سَلَكوا في الأبدانِ الناسوتيَّة.

قالَ أبو سعيد (قَدَّسَهُ اللَّه تَعالى) إنَّ الأمر والنَهي بالأعذار والإنذار والأكل مِنَ الشَجَرَة والمُخالَفَة والمعصية بِنا لائِق وعَلينا عائِد، وإنَّ الاسم والباب والعَوالِمِ العلويَّة مُنَزَّهون عَن ذَلِكَ كلّهُ لأنَّ الخِطاب بِمَعنى إيَّاكِ أعني واسمَعي يا جارَة.

وهُم الذينَ قالَ اللَّه فيهِم: وآخرون مُرجَونَ لأمرِ اللَّه إمَّا أن يُعذِّبهُم (بالتَكرير في القُمصانِ البَشَريَّة) وإمَّا أن يَتوبَ عليهِم

(التوبة106).

أي يُخلصهم بفضلِهِ ومنِّه ولطفه مِن قُمصانِ الظُلمَة ويُلحقهم بعوالِمِ قُدسهِ.

وإنَّ اسم آدَم واقِعٌ على الطَبيعَة البَشَريَّة لأنَّهُ مِن أديمِ الأرض فلِهَذا سموا أبناء آدَم (أي أبناءُ الطين والطبيعة).

وروحُ العَقل التي توجَدُ في المؤمنين فهيَ مِن أربَعَةِ آلاف جزء مِن روحِ السيِّد مُحَمَّد، وهوَ الكونُ السابِع، وهوَ المَعروف بِقُدسِ المَعرِفَة.

وقَد ذَكَرَ التَكوين والسَّطح مولانا الصَّادِق (منه السلام) في كِتابِ الهفت والأظِلَّة وهوَ قوله: إنَّ اللَّه سطح منهُ نوراً، وقَدَّ منهُ قِدَداً، وصَوَّرَ منهُ صوراً، وقاموا للَّهِ عابدين على النور المَسطوح، فعَبَدوا اللَّه ولا يعصونهُ، ثُمَّ أمرَ أن تُخلَقَ ناراً مَسطوحَةً، وأمرَ أن يقدَّ مِنها قِدَداً، ويُصَوِّرَ مِنها صوراً، فقاموا للَّه عابدين، ونَهى النورانيَّة أن لا تَختَلِط بالناريَّة فاختَلَطَت فسطَحَ خَلقاً مِن خَلقين ثُمَّ أمرَ أن تُخلَق ريح فخُلِقَ، ثُمَّ أمرَ فقَدَّ مِنهُ قَدَداً وصوَّرَ مِنهُ صوَراً، فقاموا للَّه عابدين، وأمرَ الناريَّة أن لا تَختَلِط بالرِياحيَّة فاختَلَطَت، فسَطحَ البَعض الذي اختَلَط ثُمَّ أمرَ أن يَخلُقَ ماءً فخلق، وقَدَّ منهُ قدَداً وصَوَّرَ منهُ صوراً، وأمرَ الرِياحيَّة أن لا

تَختَلِط بالمائيَّـة فاختَلَطَت، ثُمَّ خَلَقَ طينـاً مِنَ البَحـرين (العذب الفُرات، والملح الأجاج) ثُمَّ أمرَ فقَدَّ منـهُ قَدَداً وصَوَّرَ مِنـهُ صوراً، وأمرَ المـاء أن لا تَختَلِط بـهِ فـاختَلَطَ فسَطَحَ أرضـاً طينيـة، فكـانَ بدء خلق المَمزوجين بالنور والنـار والريح والمـاء، وسَطَحَ طينَـةَ آدَم فخَلَقَ مِن شأنِ الدُنيا والآخِرَة، وكلُّ كونٍ مِن هَذهِ الأكوان كـانَ مِنـهُ آدَمـاً سَبعَةً عَديدَةً، وكُلُّ آدَمٍ يُعمِرُ هوَ وذريتـهُ سَبعَةُ آلافِ سَنَة وسَبعة وسَبعينَ سَنَة وسَبعُ ساعات، ومَكَثَ كُلُّ كونٍ خمسين ألف سَنَةٍ، وكل يوم واحد خمسون مِن سنينا هَذهِ، كُلَّما انقَضى مَدى سَبعَةِ آدام يَكونُ كوراً ودوراً ورَجعَةً ويَصيرُ العمارُ قِفـاراً والقِفـارُ عِمـاراً وتَتَبَـدَّلُ الأرضُ بغيرهـا، وأسـمائِهم بغيـرِ صِفاتِها، وتَهبطُ فِرقَةٌ مِنَ السَماء تُعَمِّرُ الأرض كَما جَرى بآدَمنـا هَذا، ولِهَذا قـالَ مولانـا الصَّادِق (منـه السلام) مـا مِن دوَّارَةٍ مـن الأرض إلاَّ وقد دار عَليها سَبعونَ صَيَّارة باب.

قالَ الشابُ الثِقَة (قدس اللَّه روحه) في تَفسيرِ هَذا

الكَـلام فـي كتـاب المسـائل الموسـوم بالـدلائل وهـوَ قولـه: إنَّ الصَّادِق (منهُ السَّلام) عَظَّمَ الأمر وكَبَّرهُ عِندَ أوليائـهِ وهوَ صَغيرٌ عِنـدهُ فـأراهُم أنَّـهُ قَد مَضـى ويَمضـي فـي هَذهِ الـدار مِنَ الكَرَّاتِ والرَجعات مـا يَصيرُ معـهُ البَرُّ بَحراً، والبَحـرُ بَرَّاً، والجَبَلُ سَهلاً،

والسَّهلُ جَبَلاً، والخَرابُ عماراً، والعَمارُ خَراباً، والمَسكونُ قِفاراً، والقِفارُ مَسكوناً، وهَذا غير مُنكَرٍ في القدرَة العَظيمَة.

وقَد رَوى سيدنا محمد بن عَلي الجلّي (قدس اللَّه روحه ونور ضريحه) في كِتابِ حاوي الأسرار عن إسماعيل بن عَبد العَزيز قالَ قلت: لأبي عبد اللَّه الصادق: مولاي (جعلت فداك) كانَ آدَم قَبلَ آدَمنا؟

قالَ: نَعَم: آدَم قبل آدم حَتَّى عَدَّ واحِد وعشرين آدَماً، كل واحد عمره وعمر ولده في الدنيا والجَنَّةِ والنَّار خَمسون ألف سَنَة، ثُمَّ يَصيرُ أهلُ الجَنَّةِ ملائِكَة، وأهلُ النار قِشاشاً.

وعَمَّرَ كُلُّ آدَم وذريتهُ في الدار سَبعَة آلافِ سَنَة وسَبعَة وسَبعين سَنة وسَبعُ ساعات.

وذَكَرَ محمد بن سِنان الزاهري في كِتابِ الحجُب والأنوار: إنَّ العَلي العَلاَّم (جَلَّ ثناؤهُ) أخرَجَ أهلَ النور السابِع إلى الأرض السابِعَة، يعني الأولى مَع إبليس وولدِهِ، فمازالوا فيها سَبعة آلاف سَنَةٍ، وسَبعَة وسبعين سَنةً وسَبعُ ساعات، حَتَّى توافوا درجاتهم، فصارَ المؤمِن في غايَة الإيمان، وصارَ الكافِرُ في غاية درجَةِ الكفر، وكانوا مسوخاً للمؤمنين يأكلونهُم ويَذبَحونهُم ويَركَبونهم ويَتَمَتَّعونَ بِهم.

والعَصرُ سَبعَةُ آلافِ سَنَةٍ وسَبعَةٌ وسبعين سَنَة وسَبعُ ساعات.

وقالَ اللَّه تعالى في كِتابِه: والعَصرُ إنَّ الإنسانَ لفي خُسر إلا الذين آمنوا (العصر 3.1).

فالعَصر: شَخصُ فاطِر، والواو: للقَسَم.

والإنسان: هوَ الثاني.

والخسر: خسر معرفة العين (جَلَّ جلالهُ).

إلاَّ الذينَ آمَنوا: بِمَعرِفَةِ العَين (عَزَّ وجَل).

والشَرحُ في مَعنى الآدامِ طويل، وهَكذا يذكرُ كل آدم في هَذا الكِتاب أنَّهُ يمكثُ هوَ وذريتهُ في الأرض كَما تَقَدَّمَ بهِ الكَلام، ولَكِن اختَصَرنا موضِعَ الحاجَة.

وأمَّا سَببُ وقوفِ آدَم فهوَ كَما قالَ العالِم: إنَّ اللَّه أمَرَ ولَمْ يَشأ، وشاءَ ولَم يأمُر.

أي أمرَ إبليس بالسجودِ لآدَم، وشاءَ ألاَّ يَسجُد، ولو شاءَ لسَجَد.

ونَهى آدَم عَن الأكلِ مِنَ الشَجَرَة وشاءَ أن يأكُل، ولو شاءَ لَما أكَل.

وسَبَبُ وقوفهِ لكي يُعَمِّر اللَّه الأرض به، وهوَ أنَّ الباري حينَ الدَعوَة ظَهَرَ بصورَةٍ غير الصُّورَة التي كانوا يُشاهِدونهُ فيها قَبلَ الدَعوَة لأنَّهُ تعالى إذا ظَهَرَ للعالَم يَلبَسُ بَدَناً مِن شَكلِ أبدانهم

حَتَّى كانَ وَقتُ الدَعوَة ظَهَرَ بالصُّورَةِ الأنزَعيَّة، فاختَلَفَت عليهم الصُّوَرة، فكانَ هذا سَببُ وقوفهم.

وأمَّا سَبَبُ الهَبطَة مَذكورٌ بِجُملَةِ كُتُب فغنينا عَن إعادَةِ شَرحِهِ هُنا.

وأمَّا سؤالك يا سيِّدي عَن آدَم هَل هوَ مِنَ القِبابِ الماضيَة أم لا؟ فاسم آدَم فقَد قَدَّمنا ذكرهُ أنَّهُم كافَّةُ الآدَميين، وقَد ذَكَرنا مُدَّة النَشأة خَمسين ألف سَنَةٍ، فبقيَ أن نَذكُر هَل هؤلاء الآدميين مِن آدَم الذي مدتهُ سَبعَةُ آلافِ سَنَة، أو أكثَر أم هُم قَبلهُ؟

فاعلَم يا سَيِّدي أنَّهُ قَد ذَكَرَ مولانا الصَّادِق (منه الرحمة) أنَّهُ إذا ظَهَرَ القائِم يوم الكَشف فَمِن هَذا العالَم فِرقَةٌ تَرقى إلى عالَمِ الصَفاء، وفِرقَةٌ تُرَد

لتُعَمِّر دار البَلوى، وفِرقَةٌ تَكِرُّ في المسوخيَّة.

وفي هَذا المَعنى قالَ الشيخ الخَصيب (نضر اللَّه وجهه) في شعرهِ:

ويرجع ملك اللَّه عودا كبدئه

ويقضي ويمضي ربنا وهو قادر

أي يرجعُ ما كانَ في تَناهي الممسوخات للصُّورَةِ البَشَريَّة، وتُعرَضُ عليهم الدَعوَة فينكرون فيَعودون إلى ما منهُ خَرَجوا.

وإنَّ هَذهِ الأرواح التي في هَذهِ الدار فهيَ كانَت في القِبابِ الماضيَة ـ أي ـ الحن، والبن، والطم، والرم، والجان، والجن، واليونانيَّة التي مَدتها سَبعَة آلافِ سَنَةٍ وسَبعة وسَبعون سَنَة، وسَبعُ ساعات، ولَم تكُن الأرواحُ قبلهُم، فلِذَلِكَ المؤمِنون قَليلون، والكافِرون كَثيرون، لأنَّ المؤمنين وقت الدَعوَة كانوا أكثر مِنَ الكافرين بجزءٍ واحِدٍ، وإنَّ المؤمنين صفا أكثرهم ولحقوا بعالمهم، والكافِرون إذا حَلّوا في المسوخيَّة يرجعون إلى الصَّورَةِ البَشَريَّة، وتُعرَضُ عليهِم الدَعوَة لأنَّهُم مؤبَّدون في الأرض، حَتَّى إذا تَمَّت مُدَّةُ النَشأة لَم تعُد تُعرَضُ عليهِم دَعوَة أبَداً.

ومِمَّا يؤيِّدُ ما قُلنا: أنَّ هَذهِ الأرواح قبلَ آدَمنا، قوله تعالى: مُخبِراً عَن يوسِف بن ماكان الذي هوَ الاسم، وكانَ قَبلَ آدَم وهوَ قوله: ولَقَد جاءكُم يوسفُ مِن قَبل بالبيِّناتِ فما زلتم في شَكٍّ مما جاءكم به (غافر34).

فما جاءكم بهِ، أي لو كانَ لغيرِ هَذهِ النَشأة بُعِثَ يوسِف بن ما كان لَم يُخاطِب اللَّه هَذهِ النَشأة بقصتهِ.

وقَد ذَكَرَ مُحَمَّد بن مُقاتِل سيرتهُ في المصريَّة مَع ذكر القِبابِ الجانيَّة، فغنينا عَن إطالَةِ الخِطاب بهِ ها هُنا.

وإذا قالَ قائِل: إنَّ قمصان المؤمِن في البَشَريَّة ثَمانون فقَط

فنَقول له: قَد قالَ السيِّد أبو شُعيب محمد بن نصير (صلوات اللَّه عليه) في المَجالِس النُميريَّة: إنَّ المؤمِنَ إذا قَصَّرَ في حَقِّ أخيه المؤمِن زادهُ رَبُّ البيت قَميصاً، أو قَميصين، أو ثَلاثَة، في البَشَريَّة التي هيَ سجنهُ حَتَّى إلى ما لا نِهايَة لَهُ.

وقَد قالَ الشابُّ الثِقَة (قدس اللَّه روحه) في كِتابِ المسائل الموسوم بالدَلائِل: مَن عَرَفَ في زَمانِهِ سَبعين مؤمِناً يصرف اللَّه عَنهُ ثمانين قَميصاً مِن قُمصانِ البشرية وجِب عَليهِ لباسها.

وفي هَذا المَعنى شَواهِد وافيَة اختَصَرناها، وإنَّ بعض عُلَماء هَذهِ الطائِفَة تَقول: إنَّ آدَمنا هَذا أوَّلُ هَذهِ النَشأة، وهَذا غير موافِق مدَّة النَشأة واللَّه أعلَم.

المسألة السابعة:

عَن ابن ملجم وحَنظَلَة ما رتبتيهما وفَديَهما ومثلهما نوراً وبَشَراً؟ والهندي والسندي من أي رُتبَة؟

الجَواب وباللَّه التَوفيق:

اعلَم (مَنحَكَ اللَّه الصَواب، وجَعَلنا وإيَّاكَ مِن أولي الألباب) أنَّ عبد الرَحمَن بن ملجم المُرادي مِنَ العالَم الأصغَر مِن دَرَجَةِ المُقَرَّبين، ويُعَدُّ مِن رؤساء درجة المُختبرين أوَّلُ دُفعَةٍ مِنَ العالَمِ الصَغير، لأنَّ نخبة العالَم الأصغَر المختبرين والمستودعين

والمُستَحفظين، وهُم نخبةُ مائَة ألف وتِسعَةَ عَشَر ألف، وكُلُّ دَرَجَةٍ مِنَ العالَمِ الأصغَر اقتَباسها مِن ثاني درجتين مِنَ درج العالَمِ الأكبَر، لأنَّ المُقَرَّبين أوَّل درج العالَم الصَّغير واقتِباسهم مِن ثاني دَرَجَتين مِنَ درج الأبواب (أي مِنَ الأفلاكِ والغَمام) وعلى هَذا القِياسُ اقتباسهم.

وأمَّا سَبَبُ غَيبة المَعنى على يَدِ عبد الرَحمن بن ملجم فلها وجهان:

الوجه الأوَّل: إنَّ المَعنى الأزَل قالَ لِكافَّةِ العالَم الأصغَر مَن مِنكُم يَتَحَمَّلُ عَنِّي اللَّعن إلى يومِ القيامَة؟ فحين ذَلِك قالَ عبد الرَحمَن: لقربِ خلاصهِ مِن مولاه، بما مَعناه: أنا أتَحَمَّلُ عَنكَ يا مولاي، فلِذَلِكَ أورَى الغَيبَة على يَدهِ، وأبانَ تفضيلهُ على كافَّةِ العالَمِ الأصغَر.

وحينما أورى المعنى الغَيبَة لَم يُلقِ لَهُ شبهاً على أحدٍ، لأنَّهُ إذا كانَ ذاتيَّاً لَم يُلقِ لَهُ شبهاً حينَ الغَيبَة على أحدٍ.

وأمَّا إذا كانَ مَثَليَّاً يُلقي شبهَهُ على رؤساءِ أهلِ المَراتِب العلويَّة، ويفديهِم بالضد، فيَقَعُ القَتل والشبهَة بِمَن سَنَّهُ وهوَ إبليس الأبالِسَة وهوَ الثاني (لعنه اللَّه).

والذي أظهَرهُ أمير المؤمنين مِنَ القَتلِ فهوَ تَلبيسٌ على أهلِ

المِزاج.

الوجه الثاني: اعلم يا سَيِّدي أنَّ المَعنى (عز شأنه) ما ظهر بشيء من الصُّورَةِ البَشَريَّة إلاَّ ولهُ مِثالٌ جَليٌ مَشهود في الصُّورَةِ النورانيَّة فإنَّ إظهارهُ القَتل في الصُّورَةِ الظليَّة مثل إظهارهِ النقصان والخسوف والكسوف والغَيبَة في الصُّورَةِ النورانيَّة قَد بِقَد حذوٍّ النَعلِ بالنَعل والقدة بالقدة.

وإنَّ عبد الرَحمَن نُخبَةُ العالَم الصغَر وصفوتهُ كَما قَدمنا بهِ الشَرح، والعالَم الصغير اقتِباسهم مِن كونِ الظل، والظل ظهورُ المَعنى بالنقصان جَلَّ مولاي، فلِذَلِكَ أورى الغَيبَة على يَدِ نخبة العالَم الصغير في هَذهِ الصُّورَة وأصلها في النورانيَّة كَما ذَكَرنا، وتَعالَت ذاتُ اللَّه عَن الغَيبَةِ والنُقصان والزِيادَة، لَكِنَّ الذي أوراهُ امتِحاناً لعالَمِ البَشَر ليَهلكَ مَن هَلِكَ عَن بَيِّنَة ويَحيى مَن حيَ عَن بيِّنَة، والعارِفون يُنَزِّهون المَعنى تعالى عَن ذَلِكَ كُلّهُ، والجاهِل يَظنُّ أنَّ ذَلِكَ العَجز واقِعٌ بهِ لأنَّهُ تعالى لَبَّسَ عليهِم ما يلبسون.

والقَتل هوَ الغَيبَة بَعدَ الظهور، والذي أوراهُ مِنَ القَتل في هَذهِ القِبَّة العربية فهوَ مثل غَيبتهِ في الجُب وكانَت على أيدي أخوتهِ في القبَّة اليوسفيَّة، والقِصَّةُ مَذكورَة في كِتابِ اللَّه، ومثلها مَشهورٌ في تِلكَ الصُّورَة النورانيَّة.

وفـي القبَّـة العَرَبيَّـة: هُم أولادُ عبد المُطَّلِب ثَمانيَـة، وأخَـوَةُ العيـن ثَلاثَة في الظاهِر، وهُم رؤساءُ العالَم الكَبير.

والبَشير الـذي حَمَـلَ القَميـص للسيِّد يَعقوب الاسـم الأعظَـم فهـوَ شَخصٌ مِن أشخاصِ الميم وهوَ ميمٌ طَميس وهوَ أبـو طالِـب عَبـد مناف بن عبد المُطَّلِب في هَذهِ القِبَّة العَرَبيَّة.

وبنيـامين بـن راحيـل فهـوَ جَعفَـر الطيَّـار فـي هَـذهِ القبَّـة وهـوَ مِـن صَفقاتِ الباب.

فحينما ألقوا المولى يوسِـف فـي الجُـب لَـم يَكُـن حاضِـراً مَـع أخوتـهِ فـي رِوايَـةِ أهلِ الظاهِر وأخوتـه عَشرَة نظرتهم تَمتَدُّ عن حروف (هبق) العَشرَة وحينَ إتمامِ نظرتهم يوري الغَيبَـة فـي غَيابَـةِ الجُـب حَتَّى يأتي ظاهِراً بسيرهِ مَعَ السيَّارَة ويردُ مِصر القاهِرَة ويُجَدِّد بِهـا الرسـوم الغـابِرَة، ويَعـدَ دخولـهِ مصـر وإكـرامُ مَثـواه وتَمكينـهِ فـي الأرض في مَركَزِ الضِياء فيوري قدَّ القَميص مِن قبل ومِن دبر ويَـدخُل السـجن ثانيـاً كَمـا دَخَـلَ الجُـب أوَّلاً، وبَعـدها يَخـرجُ مِـنَ السجن ويُعَبّر الرؤيا فيَتَوَلَّى على خَزائنِ الأرض بالطولِ والعَرض وهَذا الكَلام بإزاء ما أظهَرهُ في هَذهِ القِبَّة على يَدِ عبد الرَحمَن بلا زِيادَة ولا نقصان.

وأمَّا حَنظَلَة بن سَعد الشبامي فهوَ مِن رؤساءِ درج العالَم الكَبير،

وتحملهُ القَتل عَن المَعنى المَثَلي الذي هوَ الحُسين وهوَ المَعنى بذاتهِ، فقَد صَدَرَت فيهِ رِوايَةٌ في كُتُبِ الموَحدين أنَّ مولانا (جَلَّ ثناؤهُ) قالَ لشيعتهِ: مَن مِنكُم يَتَحَمَّلُ عَنِّي القَتل.

فقالَ حَنظَلَة: أنا أتَحَمَّلهُ يا مولاي.

فلأجلِ ذَلِكَ ألقى مولانا الحُسين شبههُ على حَنظَلَة بن سَعد الشبَّامي، وشبَّام مِن همدان، ولِقُربِ حَنظَلَة مِن مولاه ألقى شبههُ على الضد وقَد فَداهُ بهِ، وقَد أوقَعَ القتل والشُبهَة فيه، ولِذَلِكَ قالَ أبو النوَّاس في شعره:

ألا يا ديرَ حنظلة المفدى

لقد أورثتني تعبا وكدا

وقَد ذَكَرَ شَيخنا وسيدنا أبو عبد اللَّه (نَضَّرَ اللَّه وجههُ) في رِسالتهِ: أنَّ المَعنى إذا كانَ ظاهِراً مَثَليّاً يُلقي شبههُ على رؤساءِ العالَم الكبير، وفي الذاتيَّة لَم يُلقي شبههُ على أحَدٍ، إلاَّ أنَّهُ حينَ ذَكَرَ السَبع الظهورات التي ظَهَر بِها المَعنى بذاتهِ لَمْ يَقُم لها شبهاً في مَقامٍ مِنها.

وقالَ في سياقة ظهورات المَعنى بالمثليَّة: وأظهَرَ قتل بختنَصَّر لهُ وهوَ يحيى، وهوَ المَعنى وأقامَ شبههُ عاقِر بن صلفخد، وهوَ مِن ولد يهوذا بن يَعقوب، وأظهَرَ طَلَب العَمالِقَة لَهُ، والجب، وما

كانَ مِن سيرتهِ، وهوَ دانيال وهوَ المَعنى وأقامَ شبهَهُ بنيامين بن شمويلا صديقهُ، وأظهَرَ قتل عُمَر بن سَعد وسيرتهُ بكربلاء، وهوَ الحُسين وهوَ المَعنى وأقامَ شبهَهُ حَنظَلَة بن سَعد الشبَّامي.

فهَذا بيانٌ واضِحٌ بأنَّ المَعنى حينَ إظهارهِ بالمَقامات المثليَّة عِندَ إظهارِ الغيبَة يقيم لَهُ شبهاً ويُلقيهِ على الولي.

وقالَ مثل ذَلِكَ (كَرَّمَ اللَّه مثواه) في رِسالتهِ عِندَ ذِكرهِ لؤي بن غالِب: إنَّهُ لَوى الأنوار مِن أرضِ فارِس إلى أرضِ الحِجاز لظهورِ المَعنى والاسم والباب فيها، وخَلَّفَ مقامات حكمتهُ في الفُرس تَجري في ملوكهم، وأقامَ مِثالاً للمَعنى والاسم والباب: شروين وخروين وخسرو لأنَّهُ كانَ في ذَلِكَ الوَقت ظهوراً مَثَليَّاً . أي . بالمَقامين المثليين اللذين هُما ازدَشير بن بابك الفارسي، وسابور بن ازدَشير في المَقامات المثليَّة.

وشروين وخروين وخسرو، هُم كَذَلِكَ مِنَ العالَم الكبير، وقالَ الشيخ فيهِم: إنَّهُم عَبيدُ المَعنى العارِفون بهِ وباسمهِ وبابهِ، وأما درجهم في العالَمِ الكبير، فإنِّي لَم أجِد لَهُم دَرَجَةً مُحَققةً في هَذه الكتب، لَكِن قَد ذَكَرَ سيدنا هالِت في رسالتهِ: إنَّ جَميع الأشخاص الذين ألقى المَعنى شبهَهُ عليهِم فهُم مِنَ المنبئين السَبعَةَ عَشَر، وهُم نُخبَةُ العالَم الكبير واقتِباسهم مِنَ الأيتامِ

الخَمسَة، والأيتام الخَمسَة: نظرتهُم مِن كونِ الظل، وكُلُّ يَتيمٍ مِنَ الأيتام يَمِدُّ درجَة مِن درج العالَم الكبير، لأنَّهُ ذَكَرَ أنَّ المقداد يَمدُّ مرتبة النُقَباء وأبا الذر يَمدُّ مرتبة النُجَباء، وعبد اللَّه يَمدُّ مرتبة المُختَصِّين، وعثمان بن مَظعون يَمدُّ مرتبة المُخلصين، وقَنبر يَمدُّ مَرتبة المُمتَحنين، وهؤلاء الأشخاص (أي المنبئون) خواصُ العالَم الكبير، والأمثِلَة التي تَقَعُ عليهِم هيَ نَظرَةُ اقتِباسهم مِنَ الصُّورَةِ النورانيَّة مِن تَمامِ المَدار، ومِن هُناك يوري الغَيبَة عَن الأبصار، والشبهَة التي تَقَعُ بالضد، فهيَ إنكارهم لتِلكَ الصُّورَةِ النورانيَّة وإثباتهم العَجز فَحَلَّ بهِم القَتل والعَذاب، وإنَّ المَعنى جَلَّ وعَلا مِن أن يَقع بهِ شيءٌ مِن ذَلِكَ كلّه.

وأمَّا الهندي والسندي: فقَد ذَكَرهُما الشاب الثِقَة (قدس اللّه روحه) في كِتاب مَجموع الأعياد وهوَ قوله في خَبَر السابِع عشر من أذار، عَن الهندي والشَرحُ طَويل، لَكِن نَختصرهُ لِشُهرتهِ، والكَلام يَرويه عَن كِتابِ الأكوارِ والأدوار النورانيَّة وهوَ قول السيِّد أبي شُعيب محمد بن نصير (إليه التسليم) لمحمد بن جُندب اليَتيم الأكبَر حيث قالَ لَهُ: يا مُحَمَّد بن جندب هَل عَلمتَ أنِّي دَخَلتُ في يوم نوروز على مولاي الحسن العسكري (منه السلام) فلمَّا نظر إليَّ قال لي: يا محمد بن نصير.

قلتُ: لبيكَ يا مولاي.

فقال: إنَّ لي وَليَّاً في بيضاء الصين هلكَ منذُ ألفِ عام وهَذا يوم نوروز فاذهب وأحييه، فأردتُ أن أقولَ لَهُ: يا مولاي كيفَ أحييه أنا وإليكَ حياته ومماتهُ، فأمسَكتُ عَن مُعاودتهِ، وخَرجتُ وأنا مُفَكِّر في أمري كيفَ أصنَع وقَد قالَ لي: إنَّ لي وَليَّاً في بيضاءِ الصين، وهَذا يوم نوروز فاذهب وأحييه، فكيفَ لي ببلوغِ ذَلِك؟ فبينما أنا كذَلِك إذ لقيني رَجلٌ آدَمي اللون طويل القامَة كأنَّهُ النَخلَةُ السَحوق وعليهِ حلَّة خضراء وعلى رأسهِ إكليلٌ مِنَ الآس منضَّد بالآذريون يقدّ في جبهتهِ.

فقالَ لي: يا محمد بن نصير أما هَذا يومُ نوروز؟.

فقلتُ: بلى.

فقالَ لي: مالي أراكَ بهيئتي ولا تُهَنئني فيه؟

فقلتُ له: إنِّي دَخلتُ على مولاي في هَذا الوَقت

فأمَرَني بأمرٍ أنا فيهِ مَشغولُ القَلب عَن تَهنِئَتِك وهيئتك هذه.

ومَرَّ في الكَلام يُحَدِّثُ الهندي بالحَديث ويظهر على نَفسهِ أنَّهُ عاجِزٌ أن يَفعَل ما أمرهُ بهِ مولاه حَتَّى قالَ لَهُ الهندي: إنِّي سَمِعتُ عَن مولاي أنَّهُ قال: مَن تَكَلَّلَ في هَذا اليوم في إكليلِ الآذريون ثُمَّ سألَ اللَّه قَضاءَ حاجَته إلاَّ قُضِيَت، ولا قَصَدَ أمراً إلاَّ

سَهَّلَ اللَّه لَهُ قَصدهُ.

وأنـا رَجلٌ مِن بَلقاءِ الهند فإذا كانَ في مِثلُ هَذا اليوم تَكَلَّلتُ بإكليلٍ وقلتُ: أريدُ حَضرَةَ مولاي مِنَ العَسكَر، فما يَكونُ بأسرعِ من وَقتٍ حَتَّى أصير بحضرتهِ.

ومَرَّ الهندي يُحَدِّثُ السيِّد أبا شُعيب، وأظهَرَ أبو شُعيب لهُ الافتقار حَتَّى أعطاهُ الإكليل فذَهَبَ إلى بيضاءِ الصين بأسرعِ مِن لَمحِ البَصَر، ودَخَلَ المَغارَة وأحي الشاب المُسَجَّى برَشِّ الماءِ عليه وأعطاهُ الإكليل حَتَّى أتى إلى سامرَّاء وشاهَدَ المولى ورجعَ للمَغارَة ودَفَعَ الإكليل للسيِّد أبي شُعيب وتَسَجَّى كَما كان، ورجعَ السيِّد أبو شُعيب إلى سامرَّاء ودَفَعَ الإكليل إلى الهندي، وقالَ لهُ الهندي: لقَد أطَلتَ عَليَّ فقَصَّ عليهِ السيِّد أبو شُعيب قصَّة الشاب المُسَجَّى فقالَ لَهُ الهندي يا ليتَني كُنتُ هوَ.

فاعلَم يا سيِّدي: أنَّ أبا شُعيب كانَ مُجتَمِعاً بهِ حدث الميم وقدم الباب، وقدم الاسم كانَ غائِباً تَحتَ تلالي نور مولاهُ ولِذَلِكَ كانَ يُقال للسيِّد أبي شُعيب باباً وحِجاباً للمولى الحسن العَسكَري.

والشاب المُسَجَّى بالمَغارَة: فهوَ محسن الخفي أحَد أشخاص الميم.

والهندي: فهوَ قدم الحِجاب الذي كانَ غائِباً تَحتَ تلالي نور

مَعنـاه، ولِـذَلِكَ افتَقَـرَ لَـهُ السـيِّد أبـو شُـعيب، ولا يَصـوغ أن يـوري الباب الافتِقار إلاَّ لمَن هوَ أعلى مِنـهُ.

والإكليـل الـذي دَفَعَـهُ الـهنـدي إلـى مُحَمَّـد بـن نُصير فهـوَ ظهـور حدث الحِجاب بقدم الباب، وتَصديقُ ذَلِكَ قولُ الـهندي: للسيِّد أبي شُعيب حينمـا أخبرهُ بِخَبرِ الشـاب المُسَجَّى فقـالَ لَـهُ: ليتنـي كُنـتُ هوَ، وليسَ يسوغ لـهَذا الشَخص العَظيم أن يَطلُب رُتبَـةً فوقَ مـا خَصَّهُ بِها مَعناه، لَكِنَّهُ هوَ بالحَقيقَـة هو (أي محسن الخفـي هوَ الحِجاب).

والإشارَةُ في بيضاءِ الصين: لِمَركَز كون الضِياء.

والمَغارَة: الغَيبَـة.

والشاب الُمسَجَّى بالمَغارَة: اللطف الخفي.

والـهندي: قِدَم الحَجاب.

والإكليل: فهوَ النَظرَة التي خَصَّ بِها الحِجاب للباب.

والصين: الباب.

قال العالِم: اطلبوا العِلمَ ولو بالصين.

والصين: الأرض غير موضِع علـم لَكِن يَفقَـه العارِف أنَّ ظهورهُ في بيضاءِ الصين بكون الضِياء نظرة كون الباب.

والشاب المُسَجَّى: الغَيبَـة بَعدَ الظهور.

وإحياؤهُ: الظهور بَعدَ الغَيبَة.

ورجوعهُ ثانياً للمَغارَة: هيَ إعادتهُ للنقصان.

وأمَّا السندي: فقَد ذَكَرهُ الشاب الثقة (قدس اللَّه روحه) في خَبَرِ الرابِع مِن نيسان، وهوَ مَنقول بالأسانيد الصَحيحَة عَن السيِّد أبي شُعيب محمد بن نُصير (إليه التسليم) قال: دَخَلتُ على المولى الحَسَن الأخير العَسكَري (منه السلام) في يومِ نوروز فقالَ لي: في مثلِ هَذا اليوم تَدخُل عَليَّ هكذا، أمضِ فجئني بِعَبدٍ لي من بِلادِ السند في مَغارَةِ فُلان ابن فلان، فخرجت من بين يديه, أنا حائر في أمري لا أدري ماذا أصنع بحاجة مولاي والوصول إليها إذ كان بيني وبين بلد السند مسيرة خمسة أشهر وأكثر، فسرت من دار مولاي أخترق أسواق سرمرى، حَتَّى أتيت قَنطَرَةً فلان ابن فلان، فوجَدَت عِندَها رَجُلاً سِنديَّاً في وَسَطهِ بردَة، وعلى أكتافهِ أخرى، وعلى رأسهِ إكليلٌ مُفَصَّلٌ بالآذريون فقالَ لي: يا مُحَمَّد بن نُصير ما لي أراكَ هَكَذا، فعَجِبتُ مِن مَعرِفَتِهِ بي وتَسميته لي وأنا لا أعرفهُ.

(أمَّا قوله: فَعَجِبتُ مِن مَعرِفته لي وتَسميتهُ لي وأنا لا أعرفهُ) مَعناه أنَّهُ يُدرِكُ مُحَمَّد بن نُصير، ومُحَمَّد بن نُصير لا يُدرِكهُ، ولِهَذا يقال عن المَعنى: لا يَعلَم ما هو إلاَّ هو (أي نَفى الإدراك

لِذاتهِ، وليسَ يَمنَع رؤيته ومَعرِفتهِ أولياؤهُ).

ومَرَّ مُحَمَّد بن نُصير (إليه التسليم) في الكَلام حَتَّى قالَ لَهُ السندي: أنا عَبدٌ مِن عَبيدِ مولاي مِن بلد السند، فإذا كانَ في مثلِ هَذا اليوم وضعت هَذا الإكليل على رأسي وقُلتُ: حَضرةُ مولاي فأحصل بِحَضرتهِ، وأتَبرَكُ بالنَظَرِ إليه وأسمع روايتهُ، أتحب أن أعطيكَ إيَّاه فتَقضي حاجَةَ مولاك وترجع، ودَفَعَ الإكليلَ إليه ووضَعَ السيِّد أبو شُعيب الأكليل على رأسهِ حَتَّى أتى بَلدَ السند ودَخَلَ المَغارَة وأحيى الشاب المُسَجَّى برَشِّ الماء كَما فَعَلَ فيهِ ببيضاء الصين وأعطاهُ الإكليل كَما أعطاهُ لَهُ في بيضاءِ الصين ووضَعهُ الشاب على رأسهِ حَتَّى شاهَدَ المولى بسرمرى ورجعَ للمَغارَة ودَفَعَ الإكليل إلى مُحَمَّد بن نُصير ورجعَ مُحَمَّد بن نُصير بالإكليل لسرمرى، ودَفَعَ الإكليل للسندي وغابَ السندي عَن بَصَرِهِ.

وهذه القِصَّةُ جرى فيها كما جرى في قصَّة الهندي بِلا زِيادَة ولا نُقصان، وإنِّي اختَصَرتُ الكَلامَ في قصتها لشهرتا في الكتاب المَذكور.

والسندي والهندي: شيءٌ واحِد.

والشاب المُسَجَّى في مَغارَةِ بيضاء الصين هو الشاب المسجى

في مغارة بَلَدِ السند.

والإكليل الذي دَفَعهُ إليه وهوَ في بلاد الصين هوَ الذي دَفَعهُ إليه وهوَ في بَلَدِ السند.

ومَعنى الرِوايَة أنَّهُ لولا الإكليل الذي دَفَعَهُ الهندي للسيِّد أبي شُعيب لَما حَضَرَ السيِّد أبو شُعيب في بيضاءِ الصين.

ولولا دَفعهُ إليهِ ثانياً وهوَ في السند كَما دَفَعَهُ إليه أوَّلاً لَما حَضَرَ في بلد السند، والدَفعتان إشارَة لنظرة كون الاسم والباب.

والمَغارَة: إشارَة للظل، وهوَ تَمام النَظرات الثَلاثَة.

والسند والصين وسرمرى: مِن أسماءِ السين، والدَلالَة لنَظرتهِ، وسوفَ يأتي الكَلامُ عليهِم في موضعهِ.

ورَشُّ الماء: الزِيادَة.

وظهورُ الشاب وإحياؤهُ: إفاضة النور، وبَعده يرجع ثانياً للنقصان والغَيبَة، وفي هَذا الكَلام سِرٌّ عَظيم لا يسوغُ كَشفهُ، واللبيب يَستَدِلُّ على حَيثُ النِهايَة مِمَّا شَرحناه، وأسألهُ تَعالى أن يُثَبِتَنا بالقولِ الثابِت في الدُنيا والآخِرَة، إنَّهُ جوَّادٌ كَريم وفوقَ كُلِّ ذي عِلمٍ عَليم.

المسألة الثامنة:

عَن سَبَبِ سِعَةِ السين وعَدَمِ غَيبَتهِ دونَ النيرين في عيونِ

النــاظرين، وعَـن سـياقَةِ الإزالات المثليَّــة، وتمثيلهــم للوجــود، وتَفصيلهم بشَرحٍ جَلي.

الجواب وباللَّه التوفيق:

اعلَم أيُّها الحبر النَفيس، والقطب الرَئيس (أدامَ اللَّـه إرشادَك) إنَّ السـين هــيَ جـرمُ البــابِ الكَـريم، وهــي دارُ الأنبيــاء، ومَقَـرُّ الأولياء، ومَنزِل السُعَداء.

وسموا السماوات مدناً وقِباباً وجِناناً وأبواباً وطرقاً

وسمُّوا أنوارها: عيوناً.

وسموا مياهها: أنـهاراً ومَساجِداً ومَشارعاً، وهُداةً.

وكَذَلِكَ كُلُّ بَلَدٍ مَحمود، ومَدينَة، ومَقام، وبيت، ومَسجِد، وكَنيسَة، ودير، فهيَ الاسم (أي محمد بن عبد اللَّـه الذي اختَرَعهُ المَعنـى مِن نورِ ذاتهِ).

لكن أهلِ التوحيد نَزَّهوا قَديم الميم عَنِ التَجزيء والتَقسيم وأوقَعوا دَلالة ذَلِك على النـوعِ المُحدَث المُنفَعِل مِن نورِ نـورهِ وهوَ الـذي مازَجَ الباب به فيصيرُ عِندَ ذَلِكَ الباب بيتاً ومَسجِداً ومَقاماً، وفيـهِ قوله تعالى: في بيوتٍ أذِنَ اللَّه أن ترفَع ويُذكَرَ فيها اسمه (النور 36).

ولِـذَلِكَ قـالَ أبـو الخَطّـاب: أنـا اللَّـه المـألوهُ بالإلـهيَّـةِ المعـروفُ

بالأزليَّةِ فمَن ادَّعى عليَّ ما لَم أقُل فقد برئَ من توحيدِ جعفرَ الرَّفيعِ الأعلى الَّذي هوَ الأزلُ القديمُ.

وذَلِكَ عِندَ تَشريفِ الاسم لَهُ ولِهَذا عَبَّرَ الموَحِّدون: أنَّ المَساجِدِ والمُدُن المَحمودَة، والكروم المَعروشَة، والأديرة المَمدوحَة، دَلالَة على كونِ الباب الذي هوَ حضرة القدس، ومَحَلُّ الإنس، وهوَ الذي مَثَّلوهُ بِمَكَّة ومصر والقدس والكوفة وسرمرى ونَجد والصين وطوس وكافَّةِ المُدُن

التي وَقَعَ بِها الحَمد.

وأقاموا للسينِ مَثَلاً آخَر ليَقرُبَ للإفهام وهوَ مَجمَعُ القول أنَّ البَحر المَسجور، والسَقفُ المَرفوع، هوَ الأفقُ المُبين، وهوَ سَلسَل، وهوَ بَحرُ النور، وهَذهِ الكَواكِب المَرئيَّة والأجرام العلويَّة مَحلُّها مِنهُ مَحَل الحِيتان في البَحر.

ونَزَّهوا هَذهِ السَماء أن تَكون جَماداً تُلمَسُ بالأيدي أو تكون كَثيفَة، بَل هيَ جوهَرٌ شَفَّاف نورها رائِق، ولونها أخضَر لقولهِ سبحانه وتَعالى: ثُمَّ استوى إلى السَّماءِ وهيَ دُخان (فصلت 11).

أي نورٌ أخضَر، والأبصارُ تَراها زرقاء، وفي ذَلِكَ يَقولُ جَلالُ الدين بن مُعمار الصوفي (قَدَّسهُ اللَّه):

مغيبون بأثواب مزرقة

وتـارة فـي ثيـاب لونـها جسـد

وقالَ أبو النوَّاس مثل هَذا:

وتحسب في السـماء البـدر وجهـاً

مليحـاً لاح فــي قمصــان زرق

وهــيَ مُحيطَــةٌ بــالأفلاكِ ضــياءً وفيضــاً وسَـنــاءً، وهَـذهِ الكَواكِـب السَّـماويَّة فـهـيَ أنـوار مَضـيئة، وجواهِـر عَقليَّـة حَسَّاسَـة درَّاكَـة شَــفَّافَة لا يلحقهــا فــتر، ولا يَشــوبها غــير، ولا اختِــلال، ولا اضمِحلال، تَتَّقِد بنورِ الرَحمَن، وتُضـيءُ بِمَصابيح الإيمان، تَرى إلـى وراء كَمـا تَرى إلـى قدَّام، كَذَلِكَ فوق وتَحت ويَمين وشِمال، وإنَّ اللَّه قَد جَعَلَ لَها الإرادة والبلوغ في أسبابِ السماوات والأرض إلاَّ أن تخلـق وتـرزق فليسَ لَـها، ومَحل إقامتها فـي جرمِ البـاب وسـيرها وجريانـهـا فيــه كالحِيتــان فــي المــاء، أو كــالطيور فــي الـهواء، ولو أطَلنا الخِطاب في هَذا المَعنى لكانَ بِذاتـهِ كِتاباً لَكِنَّ الاختصار أليق.

وأمَّـا سَـبَبُ عَـدَمِ غَيبَـةِ السـين فلهـا وَجهـان، وسـوفَ نَختَصِـر مَعناهما بكلامٍ وَجيز وهوَ أنَّ الباري تَعالى ظَهَرَ بالصُّورَةِ النورانيَّة في النَظراتِ الثَلاث: نور ضياء وظل.

فالنور: نَظرة الاسم الأعظَم.

والضِياء نَظرة الباب الأكرَم.

والظل: نَظرة الكوكب الدري اليَتيم الأفخَم.

فالنور: هوَ الزِيادَة.

والضِياء: مَركَزُ الوجود، وهوَ مَجمَعُ البَحرين لا نُقصانَ بهِ، وجَعَلَ الباب لمضاهاة تِلكَ النَظرَة لا غَيبَة لَهُ.

وقَد رَوَى أهلُ النَقل أنَّ جبرائيل هوَ الباب وهوَ الموحي إلى كُلِّ رَسول ونَبي مِن لُدنِ آدَم إلى ظهورِ القبَّة العَرَبيَّة ولا تغيير لَهُ.

ولِهَذا يُقالُ في الدُعاء يا مِنَ الرَسول بابه، والإمام نوره (أي الرَسول جبرائيل وهوَ الباب).

وكذَلِكَ الفَلك الذي يوري الدَوران فهوَ الباب، والسَّماء والفلك شيء واحِد وهُم حدث الباب، وقِدمهُ لا يُفارِق الميم، ولَم يَزَل يَمتَدُّ مِنهُ، والميم يَمتَدُّ مِن ذاتِ باريه، وللبابِ مِن جِهَةِ مَركَزِ الضياء نَظرَة، يَمتَدُّ نورهُ بواسِطَةِ السيِّد الميم مِن لَطائفِ الكون الضِيائي، ولِذَلِكَ سُمِّيَ البابُ في القِدَمِ شَمساً وقَمَراً.

وقَد ذَكَرَ صاحِب كِتابِ الأكوار والأدوار النورانيَّة: أنَّ المَعنى كانَ في القِدَمِ يُسَمَّى أزلاً، والاسم المُهِل المُبدِر، والباب قمراً.

قالَ: فظَهَرَ المَعنى بالذي أهَلَّهُ وأبدَرَهُ، وظَهَر الاسم بالذي أقمَرهُ،

وسُمِّيَ البابُ شَمساً.

وقـالَ: فظَهَـرَ المَعنى بالـذي أهلَّـهُ وأبـدَرهُ وأقمـرهُ، وظَهَـرَ الاسـم بالشَمس، والباب بالحَيث (أي الفلك).

وقالَ في موضعٍ آخَر مِن هَذا الكِتاب: ثُمَّ بَدَت مادَّةُ الإرادَة مِنَ الأزَل بإيجاد اسمهِ أن يَظهَر بِما أوجَد بـهِ بابـه، وهوَ السَّماء والشَمس فـي التَسميَة، وأظهَـرَ الأزَل ذاتَ إرادتـهِ أن يَظهَـر بِمـا أبدى بهِ اسمهِ، وأبدى إلى اسمهِ أن يَظهَر بالشَمس التي أنحَلها الاسم بابـه وأوجَدَ فـي الحيث جَميـع الأكوان المُكَوَّنَـة مِن ذاتِ القدرَة بينَ الأزَل والاسم وكانَ ذَلِكَ في مدَّةِ مائة ألف كور.

فليَعلَم الواقِف على هَذا الشَرح، أنَّ الأزَل أبدى ذاتهُ بِما كوَّنَ بـهِ اسمهُ، والاسم أبدى وجودهُ بِما كوَّنَ بهِ بابهِ، لأنَّ الاسم كانَ فـي بـدءِ تَكوينـهِ بتَرتيبِ المُهل المبدر المقمر، والبـاب شَمس، فَلَمَّـا بَـدَت إرادَةُ الأزَل أن يَظهَـر باسـمهِ، والاسـم يَظهَـر ببابـهِ، ظَهَـرَ الأزَل بِما أهَلَّهُ وأبدَرهُ وأقمَرهُ، والاسم شَمس، والبـاب سَماء وهَذا ظهـورٌ بـاقٍ لأبَـدِ الأبَـدين، بـلا تَغيـير ولا تَبـديل، والـذي تَقَـدَّمَ بـهِ الكَلام مِن لَفظَـةِ المُهل المُبدِر المُقمِر: فهُم مِنَ النَظرات الثـلاث وهُـم كوكـبُ إبـراهيم وقمـرهُ وشَمسـهُ، وهَـذا الشَـرح مَفهـومٌ عِنـدَ الموَحدين، ولِنَرجِع إلى ما كُنَّا عَليهِ مِن مَعرِفَةِ حدث الباب وقدمهِ

فلا أقول: إنَّ قدمهُ مُنفَصِلٌ عَن حدثهِ بَل هوَ مُتَّحِدٌ بهِ كاتِّحادِ قدَمِ الميم بحدثهِ، لأنَّ قدم الميم اتَّحَدَ بحدثهِ مِن بدوٍّ ما كوِّن.

وأمَّا غَيبَة النَيرين في عيونِ الناظرين: فليسَ لَها حَقيقَة إلاَّ امتِحان لِكافَّةِ العالَم، وقَد أورى في الصُّورَةِ البَشَريَّة مِنَ العَجزِ والمَعجز كَما أورى في الصُّورَةِ النورانيَّة مِنَ الزيادَة والنقصان والغَيبَة.

الوجه الثاني: إنَّ الباري (عَزَّ شأنهُ) لَمَّا أمرَ الحِجاب أن يَخلُق الباب فخَلَقهُ كَما أراد، وأمرَ الباب فأمَدَّ الأيتام الخَمسَة، لأنَّهُ نَظَرَ يَميناً، فكانَ المقداد، ونَظَرَ شمالاً فكانَ أبو الذر، ونَظَرَ أمامهُ فكانَ عبد اللَّه ونَظَرَ وراءهُ فكانَ عُثمان، ونَظَرَ تَحتَ قَدَميه فكانَ قَنبَر، ولِهَذا المَثَل لم يرد لقنبر نَسَباً في الظاهِر، لأنَّهُ خَرَجَ مِن موضع دَوسَةِ الإمام، ولِذَلِكَ يسَمَّى قَنبَر بن كادان الدوسي، وإنَّ المقداد أفضَل مِن هؤلاء الأيتام الأربَعَة لأنَّ قِدَد العوالِم العلويَّة كانت عنه، ويَفقه العارِف أنَّ كون اليَتيم هوَ الظل، وامتِدادُ الظل عَن كونِ الضياء الذي هوَ نَظرة الباب، فلِذَلِكَ جَعَلَ الباب مَحَل إقامتهم وطوافهم وجَعَلهُ نوراً راكِزاً.

وإذا قالَ قائِلٌ: إذا كانَت هَذهِ السَّماء نوراً لمَ لا تُضيء كَما تُضيء الكَواكِب الدُريَّة؟

فنَقول لَهُ: إنَّ نـور البـاب أخضَر وليسَ هوَ على هَيئَةِ نورِ البَصَر لأنَّ الأنوار مُختَلِفَـة الـهَيـأة فـي المَنظَر أَلَم تَرى إلـى نورِ زُحَل أحمَر، ونورُ المُشتَرِي أبيَض، ونورُ الـدبرانِ أصفَر، ونور السَّماءِ أخضَر، وتصديق ذلك ما يُرى في القاف فإنَّهُ يُظهِرُ نورهُ أحمَر وأبيَض وأصفَر، وحين النُقصان يُضاهي كون الماء ولِهَذا يُقال: إنَّ اللَّـه نـورٌ لا كـالأنوار، وإنَّ البصَـر لا يَستَضـيءُ بنورٍ إلاَّ أن يَكونَ على شاكِلتهِ، وإنَّ مُمِد كون النـور فهوَ البـاب وهوَ شَخصهُ.

وذَكَرَ الشيخ (نضر اللَّه وجهه) مُخبِراً عَن الأكوان في شعرهِ وهو قوله:

فكــون النـــور أولهـــا

وهــو بـــاب الســـلامات

والأكوانُ الباقيَـة فهـيَ الأيتـامُ الـتي تَقَدَّمَ ذكرها، وإنَّ تِلكَ الأكـوان لَهُم نورٌ يَمدُّهُم مِن هَذهِ الصُّورَةِ النورانيَّـة، وهوَ أنَّ البـارِي (جل ثناؤه) تَجَلَّى لِهَذهِ الأكوان فيأخذ كل منهم من المَدَدِ الإلـهي بقَدرِ قوتـه وقـواه واسـتعدادهِ، وجَعَلَ لـهَذه الأكـوان تـأثيراً فـي الأجسـادِ البَشَـريَّة، وكُـلُّ كـونٍ يُفصِـحُ عَـن مَعـنى شَـخصٍ قـائِمٍ فـي درجِ المَلكـوت، وكُـلُّ عضـوٍ يُفصِـحُ عَـن مَعرِفَـةِ شَـخصٍ، وهَـذا شَـرحُ

مَذكور في كُتُبٍ كثيرة غَزيرَة لا يَحتاجُ للمَزيد، وكُلُّ مَن صَفا مِن هَذهِ العَوالِمِ الأرضيَّة وحلَّ الحضرة القُدسيَّة يصيرُ كوكَباً دُريَّاً يُرى في هَذا الأفق فلا يَرى زيادَة ولا نُقصان في مولاه.

قالَ سبحانه وتعالى في وَصفِ أهلِ الجَنَّة: مُتَّكِئينَ فيها على الأرائِكِ لا يَرونَ فيها شَمساً ولا زَمهَريرا (الإنسان13).

وقَد ذَكَرَ سيِّدي الأمير حَسَن بن مَكزون (قدس اللَّه روحه) كَيفيَّةِ صَفاء المؤمِن وهو قوله: وبَعدَ صَفائهِ وتَرتيبهِ فيَصيرُ مُلازِماً لأحَدِ أشخاص المَراتب السُّفليَّة يَقتَبِسُ مِنه نوراً.

وقَد شَرَحَ المولى الصَّادِق في كِتابِ المَراتب والدرج كيفيَّةِ العالَم الكبير وهوَ قولهِ لأبي المثنى: أما ترى هذه الكواكب والنجوم حزقاً حزقا، وفي كل حزقة كوكب شديد الضوء أشدُّ ضياءً منها فهذا يكون الرئيس عليهم يسرحون إذا سرح ويقفون إذا وقف.

فقلت: (جُعلت فداك) فقد نرى هذه النجوم والكواكب تُسمَّى بأسماء مختلفة وهي نازلة في الملأ الأعلى؟

فقال: إنَّما سمِّيت بالأسماء المختلفة عندنا لا عندهم لحاجتنا إليها.

فقلت: (جُعلت فداك) إذا كانت هذه الحزق من النجوم والكواكب التي لا تسير إلا مع الرئيس على حسب ما قلت فما بال هذه

السبعة النجومِ الدائرة على رؤوس الأولياء طولاً وعرضاً وارتفاعاً وهبوطاً؟

فقال: إن هذه السبعة النجوم الدائرة على رؤوس الأولياء تقبسهم العلوم ولا تحوجهم إلى أن تكون هي الطالبة للنجوم لئلاَّ تخلو الرئاسة من تبَّعهم وتلامذتهم، فلكل رئيس منهم وقت يحلُّ عنده بعض السبعة السيَّارة فيفيده علماً ويقبسه نوراً ويسرح عنه إلى غيره.

وهَذا تَصديقُ ما ذَكرناه عَن صَفاءِ المؤمِن.

والباب فهوَ المُمِد للكواكب والدَّرج كافَّة وهوَ بابُ المَعرِفَة ومَحَلُّ إقامة العوالِم العلويَّة ولا غَيبَة لَهُ وهوَ الفلك أيضاً ويُسَمَّى الحيث ويَسيرُ غَرباً وشَرقاً وقبلةً وشِمالاً في دورانهِ.

وفي تَقريرِ الفَلاسِفَة ورؤيا البَصَر أنَّهُ لَمْ يَزَل يَدورُ ليلاً ونَهاراً ومِن دورانهِ تَغرُب الكَواكِب وتَظهَر.

وعِندَ الموَحدين هوَ نورٌ أبيضٌ وهوَ السين.

ومِن جِهَتهِ نَرى تَجَلِّي الباري الحيُّ القَيُّوم، لَكِنَّ أهل المراتب العلوية لَم يَرو بهِ نُقصاناً، بَل يَرونهُ ويُشاهِدونهُ كالبَدرِ لَيلَةَ تَمامهِ، ولا يضامون في رؤيتهِ، فهَذا سبب سِعَة السين، وهوَ لطفٌ بأهلِ المراتب وكافَّة العوالِم.

وعِندَ عُلماء الفلاسِفَة والفَلَكيين أنَّ جرم أدنى كوكَب مِنَ الكواكِب السيَّارَة قدر الكرَة الأرضيَّة سَبعَةَ عَشَر مَرَّة.

وأمَّا غيبَةِ النيرين: فهيَ عِلَّةٌ فينا وامتِحان واختِبار، وليسَ فيه غَيبَة لقولِ شيخنا (نضر اللَّه وجهه) في ديوانهِ:

فغائب النور من هداتي
كالحاضر المنجز العدات

ولن يغب من به قوام
السماء والأرض والنبات

ولن يغب مالك البرايا
والخلق والرزق والنجاة

والبعث والنشر في يديه
والنار والجنة اللواتي

هن جزاء لمن أتاه
بحسن فعل وسيئات

ولو مضى لم تقم سماء
ولا أضاءت بزاهرات

ولو مضى ساعة لساخت
بأهلها الأرض في رفات

وقالَ في قصيدتهِ التي مَطلعها طوس يا طوسُ:

طوس يا طوس لا عدمناك طوساً

يا محل الرضا علي بنِ موسى

إلى قوله:

لم يغب غير أننا نحن غبنا

وحجبنا عنه فصرنا طموساً

مثلما تحجب السماء بدجن

وبليل لا تستبين الشموسا

وهَذا دَليلٌ على أنَّهُ لا غَيبَةَ لَهُ ولا نُقصان بهِ، بَل الغَيبَة فينا لا فيه، وهوَ سُبحانهُ يُقَلِّبُ القلوب والأبصار فيوري غيبَةً وحضوراً واستِتاراً وظهوراً لأنَّهُ تَعالى جَعَلَ الوجود رقَّهُ المَنشور، والسَّماء سقفهُ المَرفوع، والفَضاء بحرهُ المَسجور.

ولا أقول أنَّ القاف في هَذهِ السَّماء ولا هيَ حائِطَةٌ بهِ، وهَذا لا يَخفى على أصحاب الحجور المضيئة

أمَّا الإزالات المثليَّة: فلَهُم في كُتُب عُلَمائِنا وأسيادنا شَرحٌ كافٍ ومَعنى ما دَلُّوا عَليه في كتبهم: إنَّ المَعنى إذا أرادَ أن يُشَرِّفَ اسمهُ غَيَّبهُ تَحتَ نورِ ذاتهِ وغَمَرهُ وأخفاهُ تَحتَ أشعة النور الكلِّي، وهوَ باقٍ بحالهِ، وحَجَبهُ عَن العالَمين النوراني والبَشَري

وظَهَرَ كَمثلِ صورتهِ، فالعامَّةُ ترى الصُّورَة اسمية، وتَسمَعُ الكَلامَ مَعنَوي، والموَّحِدون يَعلَمون أنَّهُ المَعنى بذاتهِ.

وقَد ذَكَرَ شيخُنا أبو عبد اللَّه سياقة الإزالات برسالتهِ شَرحاً جَليَّاً لا يَحتاجُ إلى زِيادَة، وكذَلِكَ صاحِب الرِسالة المصريَّة، وصاحِب الجَدوَل النوراني، قالوا فيهم قولاً بليغاً يُغني الطالِب عَن كلِّ بَحثٍ.

وإنَّ صاحِب الرِسالَة المصريَّة ذَكَرَ الأربعة وخمسين الإزالات أعظَمُ مِن ذاتيَّاتِ الاسم التِسعَة، لأنَّ الأربَعَة وخَمسين ظَهَرَ الرَبُّ فيها بذاتهِ.

قالَ الشيخ (نَضَّرَ اللَّه وجهَهُ) في ديوانه:

كلما نابني من الدهر خطب

صحت يا جعفر إلـه الأنام

أنت ربي وخالقي ومليكي

أنت ذو الكبرياء والأنعام

أنت فوق السماء على العرش تعلو

أنت في الأرض حاضر للكلام

أنت أسماؤك الحسين وموسى

وعلي وأنت محيي العظام

وهَذهِ الأسماء تقَع علـى المَعنى بذاتـهِ، وقَبلَ أن يُزيـلَ المَعنـى الشَخص منهم فيَكونُ اسمياًّ، وبَعدَ الإزالَة فيَصيرُ مَعنَوياًّ.

وإنَّ أسماء الاسم فـي مَقامـاتِ النبـوَّة والرِسـالَة والإمامَـة ثلاثَـة وسِتُّون، أسماؤهم مِن آدَم إلى مُحَمَّد بن الحَسَن الحجة.

فالأئِمَّة مِنهُم اثنا عَشَرَ شَخصاً وهُمْ مِن مُحَمَّد الأوَّل إلـى مُحَمَّد الحِجَّة، وهُمْ الشهور الاثنى عَشَريَّة، وهُم العيون التي تَفَجَّرَت مِنَ الصَخرَةِ الكُبرى، وحجر النهى، ويُقال: إنَّهُم إحدى عَشَر كَما هم مَذكورون بالمَطالِع، وهُم كَواكِبُ مولانـا يوسِف الذين رآهُم سَجَدوا لَهُ في المَنام، وقالَ فيهِم الشيخ (نَضَّرَ اللَّه وَجهَهُ) في ديوانه:

كواكـب سـبعة وأربعـة

لهـم هـلال يلـوح بالصيـن

وقال فيهم في قصيدته التي مطلعها:

علـت قبـاب لكـم هداتـي

بأرض كـوفان والفـرات

وفـي مثـاوي قريـش أضحـت

وطـوس أكـرم بمعرجـات

وسـرمرى فنعـم دار

لـــسيدين وســـيدات

ســوى الـبقيع الـذي تـراه

ليـس بـه رسـم بانيـــات

ذاك البقيـــع الـــذي إليـــه

يحــج مــن كـــان ذا ثبـات

علـــى انتحالـــي واعتقـــادي

والـــقطع بالثانـــي عشـريات

بأعيـــن للكليـــم موســـى

وأشــــهر فـــي براه تاتـــي

وعـــد أطـــواده يقينـــا

وأنجـــم غيـــر آفـــلات

ليوســـف والـــبروج حقـــا

بـــروج ســـبع مدبـــرات

وسَطرُ الرِسالَةِ فَهُم أربَعَة عشَر وهُم: إدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، وشُعيب، وموسى، وحزقيل، وداؤود، وسليمان، ويونِس، وزكريًّا، وعيسى، ومحمد، فهُم الذين أرسَلوا ونَظرتهم حروف بَدر بالجمَّل الصغير.

وسَطرُ النبوَّة: فهُم الذينَ بَقوا مِنَ العَدَد (أي ثَمانيَة وثَلاثون)

ونَظرتهم المَنازِل الهِلاليَّة ثَلاثون، وحُجَجُ موسى ثَمانيَة، فهَذا تمامُ عَددهم.

ومِن هؤلاء السطور الثَلاثَة أولو العَزم خَمسَة وهُم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومُحَمَّد (عليهِم السَّلام) وفيهِم إشارَة علويَّة تُعَبِّر عَن الهيئات الثَلاثَة وهُم: الطفل الصَّغير كعيسى، والشاب المَفتول السِبال كمُحَمَّد، والشيخ الكَبير كَموسى.

وفي هَذا قالَ المُنتجَب (قَدَّسَهُ اللَّه) في ديوانه:

فَسَمِنِي وَادْعِنِي فِي كُلِّ مَنـزِلَةٍ

بِمُسْلِمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِي

وإبراهيم أظهَر التأَلُّه للكوكَب والقَمَر والشَمس ورَفَعَ القواعِد مِنَ البيت.

ونوح أظهَرَ آيَةَ السَفينَة.

ويَعضُ العُلَماء يَعدُّون آدَم مِن أولي العَزم ولَم يَعدُّوا نوحاً، ويقولون: إنَّهُم خَمسَة ويُشيرون بهِم للمَشيئَة والفطرَة والعلم والقدرة واللطف الخفي.

وسوفَ نَختَصِرُ هَذا الشَرح ونَبدأ بذكر تَمثيل أشخاص المثليَّة الأربَعَة وخَمسين بالصُّورَةِ النورانيَّة بإزاء ما أظهَروهُ في البَشَريَّة وقد قَدَّمنا القول أنَّ الباري ما أظهَرَ شيئاً في الصُّورَةِ البَشَريَّة إلاَّ

ولَهُ مِثالٌ ثابِت في الصُّورَةِ النورانيَّة، ونَذكرُ تفسيرهُم على ثَلاثَـةِ أوجه.

الوجه الأوَّل: إنَّ الأربَعَة وخَمسين هُم الحروف المُعجَميَّـة الواحِد والخَمسين بنقطها وأصولها ونور وضِياء وظل تمام الأربَعَـة وخَمسين.

الوجه الثاني: إنَّ حجج موسى ثَمانيَة عَشَر، فاضربهم في عَدَدِ التَجَلِّيات الثَلاثَة يخرج جملة الأربَعَة وخَمسين.

الوجه الثالِث: إنَّ الشهور اثنا عَشَر شهراً مِنهُم سِتة أشهر كل شهر منها تِسعَة وعشرون يوماً، وسِتَّة أشهر كل شهر ثلاثون يومـاً، فخذ مِن شَهرِ الثَلاثين خَمسَـة، ومن شَهر التِسعَة وعشرين أربَعَـة وهُم فـي مَركَزِ الضِياء، فيخرُج عَدَد أربَعَـة وخَمسين، والتَشريف في النورانيَّة مِثالة وفي الأرضِ إزالَة.

وللميم اثنا عَشَر شَخصاً غير هَذهِ الثَلاث وستين ويُعرَفون بالميمات الطَمس وهُم: العَزيز وأيتامهُ أربَعَة، وأولاد هارون: شبر وشبير ومشبر، وفي القبَّـة المُحَمَّديَّـة: فاطِر ومحسن وزيد بن عَلي، وأبو طالِب بن عَبد المُطَّلِب ويُسَمَّى عَبد مَناف وهوَ أبو عَلـي أمير المؤمنين، وسموا ميمات طَمس لأنَّ قدم الميم لم ينطق فيهِم، ونَظرَتهم مِن كُلِّ يومٍ بالزِيادَة، ومن كل هلَّـة

بالنِهايَة.

ورويَ عنِ النقيبِ محمدٍ بنِ سنانَ ألزاهري أنهُ قال: رأيتُ محمدَ الحمدِ في سبعينَ مقاماً فما شككتُ فيه، ولا في شيءٍ منها، حتى رأيتهُ في الظهورِ المحمدي ظاهراً بالفرجِ والوفرةِ فغضضتُ طرفي كالشاكِّ فَحُجِبتُ.

ومحمد بن سِنان كانَ في عَهدِ المولى الصَّادِق، وإنَّ مِن آدَم إلى الصَّادِق ثمان وخَمسون شَخصاً مثليَّاً وذاتيَّاً يضاف إليهِم اثنا عَشَر ميم طَميس، فيتم السبعون، ومحمد بن سِنان يجلُّ عَنِ الشَكِّ والاحتجاب، وإنَّما ذَلِكَ واقِعٌ فينا لا فيه (وصَلَّى اللَّه على سيدنا مُحَمَّد وآله وسلم).

المسألة التاسعة:

عَن مَعنى الحَمد الذي حَصَلَ في كتُبِ أهل التوحيد لأهلِ السند والهند والحبش والنوبَة وغيرهم مِنَ الفِرَق، فكيفَ مَعنى حمدهم؟ وما الذي أوجَبَ لَهُم الحَمد؟ وما هوَ مَعبودهم؟

الجواب وباللَّه التوفيق:

إعلَم أيُّها المولى السَعيد والكامِل الرَشيد (أسعَدَكَ اللَّه بطاعتهِ وجَنَّبَكَ سخطهُ ومُخالفتهِ) أنَّ هؤلاء الأجناس أتى لَهُم شَرحٌ وافٍ جَلي في كتبِ أسيادنا أهل التوحيد الميامين،

وأوَّل كـلامٍ وخِطـابٍ نُقَدِّمـهُ ونُبديـه مـا هـوَ مَسطور فـي كتـاب مَجمـوعِ الأعيـاد روايـة الشـاب الثِقَـة (قَدَّسَـهُ اللَّـه) بـذكرهِ شـرح السَبعين حينَ ذَكَرَ الأجنـاس الـذين لا يُنجبون وهو قولـهِ: ومِنَ الأجنـاسِ الـترك، والـزنج، والزغـاوَة، والسند، والأرمَن، والصَّقلب، والبلغار، والروس، والكوش، والخَزَر، وقالَ منَ التركِ جِنسٌ واحِد ومِـنَ الليـن جِنسٌ واحِد، ومِـنَ الـرومِ جِنـسٌ واحِـد، ومِـنَ النوبَـةِ جِنـسٌ واحِـد، ومِـنَ السكاسـكِ جِنـسٌ واحِـد، ومِـنَ البيلَـقِ جِنـسٌ واحِد، ومِنَ الحَبَشِ جنسٌ واحِد، ومِـنَ البَجَـةِ جنسٌ واحِد، والـهند فما منـهُم جنس مَذموم.

فأبـانَ الشـاب الثِقَـة (قَدَّسَـهُ اللَّـه) بشرحهِ أنَّ هـؤلاء الأجنـاس لَـمْ يطلَق عليهِم الذم كافَّة لأنَّـهُ لو أطلِقَ عليهِم كافَّةً لقالَ حينَ ذكر الترك والترك كُلَّهُم ولَمْ يَقُل إلاَّ جِنسٌ واحِد، وعلى هَذا المِثال ذَكَرَ الأجناس كُلَّها، وقَد ذَكَرَ فـي كتابـهِ الموسوم بالـدَلائِل بَعض هَذهِ الأسماء وأوقَعَهُم بالمؤمِن وهوَ قولـه:

مسألـة: كم للمؤمن من اسم ثابت فـي الأمم، وما هم؟.

الجواب: ثلاثة عشر اسما وهي:

. المؤمن علوي لأنـه علا في معرفة اللَّه تعالـى على هذا العالم.

. المؤمن هاشمي لأنـه هشم الباطل وهش إلـى الحق.

ـ المؤمن قريشي لأنه أقر بالشيء وهو السيد محمد، وجحد اللاشيء وهو الضد.

ـ المؤمن عربي لأنه أعرب الحق بمعناه وأقر به، وأعرب عن المسوخية.

ـ المؤمن فارسي لأنه تفرس في علوم اللّٰه وافترس المؤمن الضعيف من يد الكافر.

. المؤمن نبطي لأنه استنبط الحقائق وطرح العلائق.

. المؤمن عبراني لأنه عبّر عن اللّٰه وعرف مراد اللّٰه.

. المؤمن سرياني لأنه وعى السرائر.

. المؤمن حبشي لأنه حب الشيء وهو الاسم، وبغض اللآشيء وهو الضد.

. المؤمن نوبي لأنه أناب إلى اللّٰه وخلص من
عذابه.

. المؤمن عجمي لأنه عجم عن الباطل.

. المؤمن كردي لأنه كرّ في الأكوار والأدوار.

. المؤمن رومي لأنه رام الحقيقة ووصل إليها.

فهذا الشرح والخِطاب يَعني بهِ الطائِفَة الموَحِّدَة فقَط.

وقالَ في كِتابهِ المَعروف بمَجموعِ الأعياد في خَبَرِ الخَميس

الأكبر وهو يوم الخميس النصف من شهر نيسان وهو مما يجب العمل فيه والصدقة مرفوع الأسانيد إلى أبي محمد عبد اللَّه بن محمد الجنان الجنبلاني العابد الزاهد المعروف بالفارسي قال حدثني سيدي ومولاي يتيم دين اللَّه محمد بن جندب قال حدثني بابِ الهداية والإيمان نور أصباؤوت السيِّد أبو شُعيب محمد بن نصير (إليه التسليم) قال يا محمد بن جندب إني مفترض عليك فرضا فأجعله بيني وبينك ميثاقا وعهدا، وآخذ عليك العهد والميثاق، وأفترض دوام ذلك إلى اليوم المعلوم، والوقت المفهوم.

قال محمد بن جندب: وما ذلك يا مولاي.

قال: ظهور النار الهائلة بأطراف الأرض، وشعاب الأودية، واتصال تلك النار الهائلة بالأموات فتضيء عندها قبورهم، وترجع إلى الكثائف من الأرواح فيتعارفون ويتساءلون ويتناسلون، وهو يوم عظم اللَّه قدره بظهوره بنور الشيم الكبير الذي بينته الأكاسرة والفرس، وتطلبه الخزر والترك، وتدين به النوبة والقبط، وتشهد بإسمه الديلم والأرمن وهوَ آدوناي الأكبر وظهور الصمد الأنذر وهو يوم العيد.

فمَعنى آدونادي: هوَ اسمٌ مِن أسماءِ الباب.

وأصباؤت: جبرائيل.

وقيلَ: أصباؤت وآل شداي: اليَتيمان.

وآهيًّا: المَعنى.

وشَراهيًّا: الاسم.

وسُمِّيَ آدونـاي يـوم العيـد الأكبَـر لظهـور الاسـم بالبـاب امتِزاجـاً فوَقَعَ عليهِ اسمُ اللَّه وصارَ أكبَر.

وقيلَ: العيد مأخوذ مِنَ اسمِ العَوَدة.

والمُراد بآهيًّا شراهيًّا آدونـادي أصباؤت آل شـداي: فهـيَ أسماءُ المَعنى بذاتهِ لقولِ الشيخ (نضر اللَّه وجهه) في ديوانـه:

وقــد هللـــت آهيـــا

شـــراهيا بـــلا فتـن

وقــد كبـــرت آدونـــاي

أصبـــاؤوت مــع الطبـن

وإنَّ هـؤلاء الطوائِـف تشـيرُ إلـى المعنـى أنَّــهُ أحـدٌ كغـيرهم مِـنَ الطوائِف المُقَصِّرَة وللمَعنى في كُلِّ لِسان اسمٌ يَدعونـهُ بهِ.

وقَد ذَكَرَ شيخنا أبو عبد اللَّه (نضر اللَّه وجهه) في كتـاب العقود أسماء المعنى على الألسن:

بالسرياني: مبينا، والهيولى، والأمين، والبيان، واليقين، والإيقان، والناصّ.

وفي التوراة: اليا.

وفي الزبور: اريا.

وفي الإنجيل: الفارقليط.

وفي العربية: حيدرة وحجر العثرة.

وفي كتب الكهنة: بريا.

وفي كتب الهند: كنكر.

وفي كتب الفرس: نمير وهو اسم النار.

وفي كتب الترك: تبيرا.

وفي كتب الروم: بطرسيا.

وفي لغة الزنج: كيينا، وقيل: حبينا.

وفي لسان الحبشة: تبريك.

أي كُلُّ هَذهِ الأسماء التي ذَكَرها مُختَلِفَة باختِلافِ الألسن فهيَ أسماءٌ للمَعنى بذاتهِ، وإنَّهُ تعالى ظَهَرَ لهَؤلاء الأجناس كافَّةً ودَعاهم إلى توحيدِهِ، والشاهِد قولُ شيخنا (نضر اللَّه وجهه) في ديوانه:

واللَّه يوري ظهوراً في مشيئته

في كل جنس من الأجناس والعدد

في العجم والعرب والروم المصاص

وفـي سند وهند ونـوب غيـر محتيـد

وفـي الشعوب وفـي كـل القبـائل

مـن قحطـانـها وجمِيـع النسـل مـن أدد

يدعـوهم ويناجيـــهم مكافحـــة

بـالذات والاسـم لـم يولـد ولـم يلــد

فـهَذا دَليلٌ علـى أنَّـهُ تعالـى ظَهَرَ لـهَؤلاء الطوائـف كافَّـة، ودعاهُم لتوحيدهِ في الظهورات الذاتيَّة والمثليَّة، وأنَّهُ إذا ظَهَرَ في بَلَدٍ مِن تِلكَ البُلدان نقَلَ ما كانَ في هَذهِ الدار مِن الأرواح المؤمِنَـة إلـى الإقليم الـذي يَكونُ الـرَبُّ ظـاهِراً فيـه لكـي تَسمَع دَعوتـهُ الأنفُس الطـاهِرَة وتُقِـرُّ لَـهُ بالمعنَويَّـة فيُخَلِّصـهُم بلطفـهِ وعَفـوهِ بواسِـطَةِ إقرارهم مِنَ التَكرير بالقُمصان البَشَريَّة ويُخَلِّفُ عِندَهُم مِن بَعضِ أهل المراتِب العلويَّة يَدعونهم إلى ما كانَ المَعنى يَدعوهُم إليـه كي لا تَتَوَهَّم ولا يضل عبادهُ المؤمنين، وحينما كانَ المَعنى ظاهراً فـي القِبـابِ اليونانيَّـة والفارسيَّة وخلافَهُم فكانَـت أرواح المؤمنيـن ظـاهِرَة بالأقـاليم الـذي يَكـونُ فيـهِ الـرَّب تَسـمعُ دَعوتــهُ وتُقِـرُّ بلاهوتيَّتـهِ وكُـلٌّ مِنهُـم يَكـونُ قريبـهُ مِـنَ الحَـقِّ علـى قَـدرِ رُتبتـهِ ومَعرفتهِ، وبمَعرفتهم لمولاهم لَم يَحتاجوا إلى دَليلٍ لظهورِ المَعنـى بينَهُم كَشفاً فيَدعوهُم مِن نَفسهِ إلى نَفسهِ حَتَّى إذا غابَ مِن تِلكَ

القِبابِ المُتَقَدِّمَة وظَهَرَ بالقبَّة العَرَبيَّة نَقَلَ أرواح المؤمنين إلى حيثُ ظهورهِ فأجابوا دَعوتهُ كَما أجابوا بِما تَقَدَّمَ مِن ظهورهِ، ولَمَّا استُخلِفَ بالكوفَة كانَت أرواح المؤمنين قَريبَة منهُ تَسمَعُ دَعوتهُ وتُجاهِدُ في سَبيلِهِ ولَم يَبقَ في الإقليم الذي ارتحَلَ عَنهُ إلاَّ رِجالٌ يَسيرَة لكي يكونوا حِجَّةً على أهلِ ذَلِكَ الإقليم.

وكذَلِكَ لَمَّا نازَعَهُ مُعاويَة بالشام نَقَلَ ما كانَ بالشام مِنَ المؤمنين إلاَّ مَن أبقاهُ اللَّه حِجَّةً عَليهم ـ أي ـ مثل ظهور محمد بن أبي بَكر، وكانَ حِجَّةً عليهِم، وعلى قومهِ.

ومثل عبد اللَّه بن عمرو بن العاص فكانَ ظهورهُ مِنهُ حِجَّةً عليه لأنَّهُ آمَنَ بالمَعنى.

وما شاكَلَ ذَلِك وحاشا للَّه أن يَكونَ هؤلاء العِظام

أولاداً لهؤلاء الفَسَقَة الطغام ولَكِنَّ الإرادَة للَّه وإنَّ اللَّه إذا أرادَ أن يظهَر أمراً ويُقيمَ دَعوَةً يبعَثُ أهلَ الخاصَّةِ مِن عبادهِ في البَلَدِ الذي يأمر الرسول أن يدعوهم ويظهرهم في قبائل شَتَّى لكي حينما يَدعوهُم يُجيبونَ دَعوتهُ مِن سائرِ القَبائِل لتَثبُتَ الحِجَّةُ على مَن يَتَخَلَّف عَن إجابتهِ، وإذا أرادَ أن ينقمَ على قومٍ قبَضَ ما كانَ في أولئك القوم مِن أرواحٍ مؤمِنَة إليه، وأخرَجَهُم مِن بينهم، ونَقَمَ على الباقين بالخَسفِ والعذاب.

ومَثَلُ ذَلِكَ أنَّـهُ لَمَّـا أظهَرَ اللَّـه الطوفـان بدَعوَةِ نَبيِّـهِ نـوح قَبَضَ الأرواح الطـاهِرَة إليـه قبلَ الطوفـان، ومـا بقَـيَ علـى وَجـهِ الأرض مؤمِنٌ إلاَّ الذي عَصَمَهُ اللَّه ونَجَّاهُ بالسَفينَة مِنَ الغرَق، وما هَلِكَ بالطوفان إلاَّ الفَسَقَة والمُنافقين.

وكَذَلِكَ لَمَّا أهلَكَ اللَّه قومَ لوط بالخَسفِ وأمثالهم قَبَضَ اللَّه علـى ما كانَ في بلادهم، وأمرَ الرسُل بإخراجِ الأولياء مِن بينـهم وأهلَكَ ما بَقِيَ بالزلازِل والخَسف والرَجف والعَذاب.

وإنَّ مولانا العين لَمَّا أرادَ إثبات حِجَتِهِ على معاويَة، وأهلِ الشام، بعَـثَ إليهـم عِصـابَةً مِـنَ المـؤمنين، فلَمَّـا دعـاهُم أذعنـوا لَـهُ بالطاعَة، وتَخَلَّفَ عَن إجابتهِ أوباش الشام ومُعاويَة، فكان الذيـنَ أجـابوا حِجَّـةً عليهـم فلَمَّـا لَـمْ تؤَثِّـر الموعِظَـة بأهلِ الشـام البغـاة الطغام، قبَضَ على أوليائـه مِن عِندَهُم، وأطلَقَ اللعن علـى كافَّـةِ أهلِ الشام، والشاهِدُ قول شيخنا (نضر اللَّه وجهه) في ديوانـه:

سـئمت المقـام بـأرض الشــآم

عليهـم لعائـن رب الأنــــام

ومَعنـى سَئِمتُ كَرِهـتُ، والشـام كانَـت مَقـر خِلافَـةِ بَـني أميَّـة، وأشهَروا فيها السَب لأميرِ المؤمنين مدَّةَ ألفِ شَهر علـى رؤوسِ مـآذنهم ومنـابرهم فحينئِذٍ كانَت أرواحُ المـؤمنين فـي بـلادِ العِراقِ

والحِجاز، وتِلكَ الأقاليم تَسمَعُ دَعوتهُ مِن صوَرِ الأئِمَّة لأنَّ اللَّه إذا أحَبَّ عَبداً نَقَلَهُ إلى قومٍ يَدينون للَّه بالحَق ويجحَدون الباطِل ولا يشركون باللَّه شيئاً فيكونُ ذَلِكَ رِضاً مِنَ اللَّه عليه وازدياد قرب مِنَ اللَّه، وإذا غَضِبَ على عَبدٍ نَقَلهُ إلى قومٍ يُحَللون الحَرام، ويُحَرِمونَ الحلال، ويَرفضون الحَق، ويَدينون بالباطِل، ولو كانَ بالحَقِّ عارِفاً، ففي تِلكَ الأعمال يَكونُ مُقارِباً لأهلِ النار، ويَحلُّ عليهِ غَضَبُ الجَبَّار.

وإذا مؤمِنٌ لَحقهُ تَقصير في حقوقِ إخوانهِ فإنَّ اللَّه بعَدلهِ يحجبهُ بقُمصانِ الظُلمَة مثل الشيعَة والإماميَّة لأنَّ شيخنا لَم يطلُق عليهم السَب بقولهِ (نضر اللَّه وجهه) في ديوانه:

يا خصيبي ترفع

عن كل من يتشيع

فإنه عن قريب

إلى علي سيرجع

واللَّه أحلَم وألطَف مِن أن يُحِلَّهُ في الطوائِف السابَة لأهلِ البيت مثل المَجوس واليَهود وأصحاب البِدَع وعُباد الأصنام، وأهل الشرك، وإذا أحَلَّهُ بغيرِ الطائِفَة الموَحِّدَة فإنَّهُ يَحفظهُ مِنَ الذنوب التي توجِب المسوخيَّة بلُطفهِ وكَرمهِ ولِهَذا يَجِبُ عَلينا لَعن

الطوائِف الضَالَّة والفرق المُبتَدَعَة.

وفي عَصرِ الأئِمَّة كانَ الحَقُّ يَقوم بغيرِ شاهِدٍ مِن كِتابِ اللَّه لأنَّ صاحِب الحَق والدَعوَة حاضِر لا يَحتاجُ العارِف فيه بيِّنَة ولَمَّا أرادَ الغَيبَة مِنَ الصُّورَةِ البَشَريَّة (جَلَّ مولاي) ولَكِنَّ العِلَّةَ فينا أوحى اللَّه إلى أهلِ النور الذينَ ظَهَروا في البَشَريَّة مثل شيخ الطَريقَة أبي عبد اللَّه وغيرهُ بأن يرشدوا المؤمنين أن لا يَقبَلوا عِلماً إلاَّ أن يَكونَ بهِ شاهِداً مِن كَتابِ اللَّه أو بينة مِن كَلامِ أهلِ البيتِ الطاهرين، وبيَّنوا الحَقَّ في كتبهم التي خَلفوها لأوليائهم وشيعتهم وهيَ باقيَة بينَ أيدي المؤمنين يَحفَظونها ويَدرسونها ويَعمَلونَ بِما فيها، وإنَّ العالِمَ أقرَبُ وَسيلَةً للَّه لقولِهِ تعالى: وعزتي وجلالي لأحمينَّ أمَّةً دانَت بإمامٍ مِنَ اللَّه ولو كانَت بأعمالها ظالِمَةً مُسيئَةً، ولأعذبنَّ أمَّةً دانت بإمامٍ ليسَ مِنَ اللَّه ولو كانَت بأعمالها بارَّةً تَقيَّةً صالِحَة.

وإنَّ اللَّه آلى على نَفسهِ بأن لا يَمسَخ قوماً إلاَّ بَعدَ مَعرِفَةِ الحَقِّ وإنكارِهِ لقولِهِ تعالى: وإنْ مِنكم إلاَّ وارِدُها كانَ على رَبِّكَ حَتماً مَقضيّاً (مريم 71).

أي يرد المَعرِفَة وتُعرَض عَليه فيَكفُر بِها فيرجع للمسوخيَّة.

وفي هَذا المَعنى قالَ اللَّه تَعالى: بحَقِّ الكافرين: والذين كفروا

أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم مِنَ النورِ إلى الظُلمات (البقرة 257).

والنور: هوَ المَعرِفَة والعَقل.

والظُلمات: هيَ المسوخيَّة والجَهل.

وقال تعالى: أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها (الأنعام 122).

وقالَ تعالى: ظُلماتٌ بَعضها فوقَ بَعض إذا أخرَجَ يَدَهُ لَم يَكَد يراها (النور40).

فهَذا اللفظ قَد ذَكَرهُ المولى الصَّادِق (منه الرحمة) في كِتابِ المَراتب والدَرَج وأوقَعَهُ في قمصانِ المسوخيَّة (عَصَمنا اللَّه مِن ذَلِك).

والمؤمِنُ فعَقلهُ وروحهُ وسائِر جِسمهِ مَطبوعٌ على قبولِ المَعرِفَة، فإذا سَمِعها التَقَطَها كَما تَلقطُ الأرض العَطشانَة وابِلَ المَطَر، ولا يَلحقهُ فيها شك لأنَّ اللَّه خَلَقَهُ لأجلِها وجَعَلهُ أهلاً لها، وهيَ أهلٌ لهُ وإذا حَلَّت مَع مُنافِق تتلجلج في صَدرهِ فتَخرُج حَتَّى تَجِد أهلَها فتسكُن إليهِم، اللَّهمَّ اجعَلنا لَها أهلاً بجودِك ومَنِّك.

ولِنَرجع إلى ذكرِ الأجناس التي قَدَّمنا عليها الكَلام: إنَّ هؤلاء

الناس الذين حَصَلَ لَهُم الحَمد في كتُبِ أسيادنا ليسَ هُم هؤلاء الطوائِف الذينَ يحَرِّمونَ الحَلال ويُحَلِّلون الحَرام، ويَعبدون الأوثان والأصنام، مثل أهل الهند في هَذهِ الأيَّام لأنَّ الهند قَد ذَكَرَهُم الشاب الثِقَة عَن المولى الصادق (منه الرحمة) أنَّ ما مِنهُم جِنسٌ مَذموم، وهُم في الباطِن العوالِم القُدسيَّة.

والهند والصين: هُما السين، وفي الظاهِر: هُم

المؤمنون الذينَ سَميناهُم بالتُركِ والروم والكرد وما أشبه ذَلِك، وفي الترك إشارَة تُعَبِّرُ عَن البئر المعطّلَة، والقَصر المُشيد، وكافَّةِ ما حَصَلَ لَهُم مِنَ الحمد والمدحِ فهوَ على هَذا النَمَط.

قالَ سيِّدي الشيخ حَسَن بن مَكزون (قَدَّسَهُ اللَّه) في شعرهِ وهوَ قوله:

وهواه ترك الأتراك بالنوق

تهوي نحو جيران النقي

واسترام الروم عن موردها

تستميح الريا من غدران طي

وإلى سلع ونجد عطف الغرس

عن قم وبلخ وخوي

وإليه الهند عن قبتها

نهـدت تطلبـه عنـد الخبـي

فالقِبَّة: هيَ قِبَّةُ قَديمِ الزَمان التي أقامها في بَلَدِ الهِند، وقَد ذَكَرها صاحِب كِتاب الطالقان، وفي الباطِن دالَّةٌ على معرفة ما أشرقَ مِن نواحي بَلَدِ الصين في البَلَدِ الأمين، وهوَ الذي يقصدُ مَعرِفتهُ المؤمنون في أقاليمِ الدُنيا والدين، وهوَ مَعبودَهُم، وعليهِ حَثَّهُم ومَقصودهم.

وأمَّا هَذهِ الطوائِف الأرضيَّة التي يذكرها أصحاب

[3]

التواريخ في كرات الأقاليم والقرون الخمسة ( ) لا إفادَة فيهم ولا مَعبود لَهُم في هَذا الوَقت والزَمان إلاَّ الأصنام والأوثان، وأمثالُ ذَلِكَ مِنَ التَجسيمِ والتَجسيد للباري المَجيد، وعليهم وعلى أمثالهم نطلقُ اللعن، وتَصديقُ ذَلِكَ ما قالَهُ شيخنا أبو عبد اللَّه الحُسين بن حَمدان (نضر اللَّه وجهه، ونَفَعَ بعلمهِ أهلَ الإيمان) بشعرهِ الذي مَطلعه (يا دَولَةَ الحَقِّ كَم تَري تقفي) وذَكَرَ فيها كُلَّ هَذهِ الطوائِف بالذَم، وهوَ قوله مُخبِراً عَن ظهورِ المَهدي وإبادتهِ للمُشركين:

ويقـل الـروم والصقالـب

والزنـج وحشـد القـرون بالخيـف

والتــرك والكــرد والديالــم

والقبــط وزط البــلاد بالرجــف

والســند والهنـــد والأخــازر

والأرمن وجمـع العلـوج والقلـف

فهَذهِ الفرق كُلّها لا تنجب إلاَّ مَن يَدخُل مِنها إلى التوحيد، وليسَ فيها موَحِّد أبَداً في هَذا الزَمان، وهَذا شيءٌ لا يَخفى علـى فهمكم الثاقِب المُنير، وإنَّني قَد اختَصَرتُ ما جَمَعتـهُ وسَطرتهُ فـي هَذهِ الأوراق اختِصـاراً موجـزاً لكـي أنـالُ مِـن ألطـافِ فضـلكُم الـدُعاء، وذَلِـكَ الاختِصـار امتِثـالاً لأمـركم الكَريم، ولـولا الخـروج عَن حَـدِّ الطاعَـة ومُخالَفَـةِ الأمـرِ الشَـريف لقـولِ مولانـا الصَّـادِق (منـهُ السَّلام) إنَّهُ قال: مَن اعتقَدَ لَهُ ولِنَفسِهِ وليّاً ثُمَّ خالَفَهُ دَخَلَ النار.
وقوله: طاعَةُ المؤمنِ لعالمهِ كطاعتهِ لِرَبِّهِ.

لما تجاسَرتُ علـى إجابَـة ما قَد تَقَدَّم مِنَ المَسائِل والبَحثُ عَن مَعنـاهُم لأنَّنـي لَستُ بإمـامِ وقتـي، ولا بعـالِمِ عَصري، وأنـا أرجـو ممَن وقَفَ علـى هَذهِ الصُّورَة المَسطورَة مِنَ الساداتِ العارفين، والعُلَمـاء البـالغين أصحاب الفقـه والتـأليف إن وَجَدوا فيهـا شيئاً زائِفـاً عَن الأصـول، ونـافِراً عَـن المَعـاني الـتي هـيَ موضـوعَة ومَرسـومَة فـي كتـبِ السـادة المُتَقـادمين، أو حائِـداً عَـن مـيزانِ

التوحيد القَويم، أن يسدوا ما داخَلها مِنَ الخَطَأ والزَلَل، وأن يفصح عَن اللحن والزَلَل، لأنَّ القارئ رُبَّما أوقفهُ فهمهُ على أمرٍ غائِب عَن مَعرِفَتهِ، أو عِلمٍ تَخَطَّاهُ فَهمي الكَليل، فيُصلحهُ بِما حَصَلَ لَهُ مِنَ العِلمِ الإلهي، والمَدَد الرِبَّاني، لَكِن لا يَكُن القارئ (والعِياذُ باللَّه) يُريدُ العِلَّةَ مِن غيرِ مُعِل لأنَّ الألفاظ المَنطقيَّة مُضِرَّةٌ بذوي الجَهل لسوءِ احتِباسهم عنها، والنِعمَةُ تَطغي كُلَّ سَخيفِ عَقل لقولهِ تعالى: وإذا أرَدنا أن نُهلِكَ قَريَةً أمرنا مُترفيها ففَسَقوا فيها فحَقَّ عليها القول فدَمَّرناها تَدميرا (الإسراء16).

فالأمرُ: مِن أسماءِ الإمارَة.

والتَرف: مِن أسماءِ الغنى أي أترَفتهُ النعمة فأطغَتهُ (أعاذنا اللَّه مِن ذَلِك).

وأنا أسألُ اللَّه تعالى العَلي العَظيم بِما سألهُ بهِ السائِلون، وسألَ بهِ كُلُّ بَرٍّ وليٍّ حَميم، وعَرَفَ بهِ كُلُّ برٍّ كريم، وبهِ تَضَرَّعَ كُلُّ أوَّابٍ حَليم، بأن يَمنَع عَن هَذهِ الرِسالَة كُلَّ أفَّاكٍ أثيم، ويَصُدَّ عَنها كُلَّ مُعتَلٍّ زَنيم، ويَهِبَها لكُلِّ ذي حَظٍّ عَظيم، لأنَّني أوثَقتُ بِها معاني حَسَنَة لائقَة، وأمعَنتُ فيها فكري وبَصَري بسَبَبِ الإيجازِ والاختِصار.

وأسألُ اللَّه الأزَل القَديم بأفضَلِ سؤالٍ سألَهُ بهِ السَّائلون أن

يُلهِمنـا شُـكرَ نعمتـهِ، ويحلّنـا دارَ كرامتــهِ، ويَجمَعنـا فــي مَنــازلِ النور، ومحل الحبور، في مَقعَدِ صِدقٍ عِندَ مَليكٍ مُقتَدِر، فهَذا ما إلى جمعه المولى الكَريم يسَّر، وعلى رَقمهِ وتَسطيرهِ قَدَّر، وفوقَ كُلِّ ذي علمٍ عَليم ولا حـولَ

ولا قوَّةَ إلاَّ باللَّه العَلي العَظيم.

وللموَلِّف خِتام للرِسالَة ومديحا بالسائل (عَفا اللَّه عَنهُما) آمين وهيَ هَذهِ:

فدونكـها يا مُدرِكَ العِلـمِ والحجـى

ويا عَيبـَةَ الأسـرارِ يا مَعـدَنَ الفَخـر

عروسـاً رداحـاً قَـد تَتيــهُ تَعَجُّباً

وتَرفلُ بأثـوابِ البَديعَــةِ كالبَـدر

عَزيزَةُ وَصلٍ لا يُدانيــها خالــسٌ

ومِن طَلعها الأبـرار قَد تَجتَني الثَمَر

فخذها لَكُم خوذاً تَجَلَّى بخـدرها

تميـسُ دَلالاً تنعشُ اللــبَّ والفكـر

دعوياً لعوياً حُـرَّةً قَـد تَمَنطَقَــت

وفـي حُلَلِ الديبـاجِ تَهتَزُّ فـي خَطَـرِ

فدونَكَ يا قطـب الـزَمانِ جمالــها

فأنتَ لَها كفوٌ وأنتَ لَـها فَخـرُ

أبا ماجـدٍ أحيـا المَحامِـدَ والثنــاء

بآياتـهِ الحُسنى وأخـلاقهِ الطــهر

بنيتَ بيوتَ المَجـدِ بالحَـزمِ والتُقــى

تَسَامَت نفائلك الكريمـة عَنِ الحَصرِ

فـلا بَرِحَت فيـكَ المَعالـي مُنـيرَةً

تَميطُ قِتام السرِّ عَن فَجرِها الثغـر

وفـي وَجهِكَ الوَضّـاحُ أكبَـرُ آيَــةٍ

لهـا فعلُ بالألحـاظِ ما ليسَ بالخَمـر

وإذ هَلَّ نِبراسُ الجَبـينِ تَخاجَلَــت

نجومُ الدُّجى وتَوَهمـتُ أنَّـهُ البَـدر

وضـاءت مغاسـيقُ الظَـلامِ وانجَـلَت

ودكـت لَـهُ الأرجـاءُ وابتَـهَـجَ الزهـر

ونـاغَت طيورُ الـدوحِ تَشدوا تَطـرباً

فتنعـشُ تامـور الحَزين من الضـرِ

أيا عترَةَ الأطـهارِ يا قـادَةَ الـورى

ويا ملـك الدنيـا ويا زينَــةَ العَصـرِ

تبـارَكَ اسمٌ قَـد دُعيـتَ باسـمهِ

تَقَدَّمَ بالتَشـهيدِ فـي أوَّلِ الذكـرِ

محمـد يُدعـى بالرِســـالَةِ أوّلاً

وأنـتَ لَنـا فـي عَصرِنا آيَـةَ النَصـرِ

رَسـولٌ إمـامٌ قـدوَةٌ لـذوي الـهُدى

سـلالَةَ آبـاءٍ مُطَهَّـرَةٍ غـرِّ

رِجالٌ مَناجيـبٌ غطاريـف أنجـبٍ

سراةُ شموسِ الخَلقِ في الفقـهِ للنَشرِ

وجَـدَّدَ مولانا الأمـير مُفاخِــراً

الفَصاحَـةُ إرثـاً عَنهُم واجتَـنى الثَمَـر

فطوبى لَنـا إذا خَصَّـنا اللَّـه سَـيِّداً

أميناً وقـوراً لا يُشـوبهُ كَـدَر

رَضينا بـهِ قَسَماً ونَرجو بـهِ النَّجـا

ونَرجو بـهِ عونـاً علـى خَطبِ الدَهر

فكَفـاهُ بَحـرٌ والبحـورُ جَداوِلٌ

فليسَ لَـهُ في الخَلقِ شَفعٌ ولا وتَـر

محمد عبدكَ مِنكَ يستَمِحُ الدُّعـاء

دعاكَ وعَفـو اللَّـه أرجيـها ذخـري

وأهديكُم دُرَرَ التَحـايا علـى المَـدى

مُضَمَّخَةً بالنَـدِّ والمسـكِ والعطـر

وأهدي سلاماً يَمـلأ البيـدَ والغَضـا

لمولـى رَقـى درج المَكـارِمِ والفَخـرِ

فرئبالُ عَصرٍ بـاذخِ المَجـدِ سـؤود

وليسَ لَـهُ ألقـى نَظيراً مَدى عمـري

هوَ السيِّدُ المَشـهورُ والمُصطفـى الـذي

تَسامى عَن الأوصافِ بالنَظمِ والنثـرِ

عَفوفٌ عَن الدُنيا وليـس تَغـرهُ

ولا يَشتَكي مِن بؤسِ دَهـرٍ ولا ضرِّ

وليسَ بِمَحـزونٍ لِمـا مَـرَّ وانقَضـى

بأوقاتـها حـالُ الرَخـاءِ والعسـر

ولا فـارِحٌ فـي أمِّ زفـر وفخـرها

ولا يذخـر فيـها أمـوال ولا تبـر

كذا السيِّدُ إبراهيم ذو العِلمِ والحجـى

سلك سبل والـدهِ الكَريمِ عل قـدر

وأهدي إلـى الحبرِ النَبيلِ أخـي النـدى

سـلاماً يفـوقُ الرَمل مَـع عَدَدِ القطـرِ

سميٌّ خَليـلِ اللَّـه إبـرامُ قَـد حَـوى

إلـى شـيمَةِ السَّمتِ الجَميلِ بـلا نكر

سـليلَةَ عبـد اللطيـفِ هـوَ المُنـى

عليــهِ سـلامٌ بالآصـالِ وبالســحر

فأرجوكُـم أن تَمنَحونــي بِدَعــوَةٍ

لَعَلَّ بِهـا يَنفَـكُّ عنقي مِنَ الـوزر

وأهدي لِحَضرتكم ومَن فـي جواركـم

مِنَ القـادَةِ الأطـهارِ والسادَةِ الغُرِّ

سـلاماً فَريـداً سَـرمَديّاً مختـماً

بمسـكٍ وتَسـنيمٍ يمازجـهُ عطـر

فإن غبتـم عَن مَشـهَدِ العين إننـي

بذكركـم ألـهجُ ولـو غابَ عَن فكري

معلَّـى ربيــع واثــقٌ بولائكُـم

وثابـتٌ علـى عَهـدِ الوِدادِ بـلا ضَجَر

صلاةٌ وتَسـليمٌ علـى مَعدَنِ الهُـدى

رسَولٌ رَقـى السبع الطِباق بـلا نكـرِ

تمت

[1] ـ وفـي نسـخة: ومَحَـل إقامَـة الأجـرام المضـيَّة والأشباح العلويَّة، والكواكِب الدرية.

[2] ـ وفي نسخة: وإنَّ اللَّه أجَل مِن أن يوصَف بِصورَةٍ أو يَدخُل تَحتَ الحروف أو يوصَف بِموصوف.

[3] ـ وفي نسخة: في كَرَّةِ الأقاليمِ والقارَّات الخَمس